



مواجهة بلا حيف مع الشيخ فوزي السيف

طالب علم

مواجهة بلا حيف

مع الشيخ فوزي السيف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ وَلَعَنَهُ اللَّهُ عَلَى أَعْدَائِهِمْ أَجْمَعِينَ

الطبعة الأولى

١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م



مكتب لندن

٠٠٤٤٧٤٠٤١٠٩٠٩٤

البريد الإلكتروني

upperhandorg@gmail.com

إخراج

أ. م. م. م.

مواجهة بلا حيف
مع الشيخ فوزي السيف

طالب علم

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، ولعنة الله على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين.

قامت بعض الجهات والأحزاب المناوئة للتيار الرافضي بهجمة كبيرة جداً لتشويه صورة هذا التيار، فمرة باتهامه بالعمالة للغرب، وأخرى وصفه بالجهل، وثالثة بأن كل ما يطرحه هذا التيار مجرد سبٍ وشتم، وغيرها من الأكاذيب والافتراءات.

وقد تأثر بهذه الهجمة الشرسة الكثير من عوام الشيعة بل حتى المشايخ وطلبة العلوم الدينية بسبب الآلة الإعلامية الضخمة التي يملكها خصوم هذا التيار، فراحوا يرددون ما تقوله هذه الأحزاب المنحرفة بدون تحقيق وعدم تثبت ولا حتى مراجعة للمحاضرات الكاملة المنشورة على مواقع التواصل الاجتماعي الرسمية للتيار الرافضي؛ لكي يسمعو بأنفسهم ماذا يقول أصحاب هذا التيار، وعلى ماذا يستندون بانتهاجهم هذا المنهج.

قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ»^(١).

وقد تختلف دواعي الهجوم على التيار الرافضي من قبل الأحزاب والجهات المناوئة؛ فإما حسداً لتعاضم هذا التيار واتساعه وتحقيقه لإنجازات ضخمة، وإما خوفاً على مصالحهم الدنيوية؛ لأن المنهج الذي يسير عليه هذا التيار لا يتوافق مع مطامعهم السياسية المتشابكة مع

(١) الحجرات: ٧.

التيارات والأحزاب البكرية، ولأنهم لا يستطيعون مواجهة هذا التيار ومحاجته بالدليل والبرهان؛ فاتهموه بالعمالة للغرب بدون ورع ولا تقوى! ومن جهة أخرى عملوا بخبث على بتر المقاطع المرئية ودمج مقاطع بأخرى ثم تقديمها للناس بصورة مشوهة كما يفعل إخوانهم الوهابيون الذين قدّموا لعوام ملتهم صورة مشوهة عن الشيعة والتشيع بنفس تلك الطرق الشيطانية وغيرها!

ومن المشايخ الذين تأثروا بهذه الهجمة الشرسة هو الشيخ فوزي السيف هداه الله حينها هاجم التيار الرافضي بدون تحقّق وعدم معرفة بمنهجهم؛ مما جعله يقع في اشتباهات ومغالطات كثيرة، وهذا ما دفعنا لكتابة رد بمقال مطوّل تحت عنوان: «مواجهة بلا حيف مع الشيخ فوزي السيف»؛ لنوضّح فيه ما التبسّ على الشيخ ونبيّن ما لبس عليه، والإجابة على الإشكالات التي طرحها بالتفصيل.

وبعد مدة ليست بالقصيرة من كتابة هذا المقال رأينا أن نرتبه ونوسّع بعض الإجابات لتكون أسهل تناولاً، ونخرجه ككتاب لكي تعم الفائدة.

عزيزي القارئ: إن هذا الكتاب الذي بين يديك هو عبارة عن محاولة بسيطة ومتواضعة، وخطوة أولية للتعريف بالمنهج الذي يسير على خطاه التيار الرافضي الأصيل آملين منك - عزيزي القارئ - قراءة هذا الكتاب بعقلك لا بعاطفتك بعد التجرد من العصبية والهوى وكسر حاجز التقديس الأعمى، والتسليم التام للنصوص لا للشخوص.

٢١ / شهر رمضان المبارك / ١٤٣٧ هـ

ذكرى استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام

طالب علم

■ تشبيه البرانيين بالأمويين:

تهجم الشيخ فوزي السيف على التيار الرافضي البرائي في واحدة من محاضراته، والتي تم رفع مقاطع منها على حساب باسم الشيخ بموقع «يوتيوب» تحت عنوان «تسوية المجتمعات والتصعيد الطائفي»، وضمن سياق حديثه وصف أتباع هذا التيار بالشتامين السبّابين، وأن عملهم ما هو إلا مشروع أموي طائفي للتفرقة بين المسلمين وخلق حاجز نفسي عند أهل الخلاف يمنعهم عن تقبل الحق!

وفي أحد المقاطع المرئية بعنوان: «الشتامون هل هم أكثر ولاء من السيد شرف الدين؟»، بدأ الشيخ السيف حديثه بأن الأمويين سعوا للفصل بين أتباع أهل البيت عليهم السلام وبين المخالفين؛ فوضعوا الحواجز الجغرافية، ومنعوا الكتب والمحاضرات وخطب الشيعة عن الوصول إلى المخالفين، أما في هذا العصر فلا مجال للأمويين أن يمنعوا التواصل أو يضعوا الحواجز؛ بسبب مواقع التواصل والانفتاح على العالم فلذلك سعى الأمويون الجدد لوضع الحاجز النفسي لمنع الفرق الأخرى عن تقبل الحق! فأسسوا تيار السب والشتم الذي شكّل هذا الحاجز النفسي عند المخالفين فحرم الأمم الأخرى من فقه آل محمد عليهم السلام! وهذا نص ما جاء في المقطع المرئي:

يقول الشيخ فوزي السيف: «الحل ما هو في السابق كانت-الدولة الأموية- أن نصنع حواجز ما نخلي هالفكر نمنع الكتاب ما نخلي زاوية في مسجد ما نخلي فقيه من فقهاء أهل البيت قاضي ولا خطيب في جماعة وفيما بعد لما صارت الوسائل والأجهزة الإذاعات وما شابه ذلك خلينا نمنع من وصول الفكر الآن في هالفتره إيلي ما في مجال للمنع خلينا نسوي الحاجز النفسي ونفصل عامة الأمة عن هذه الفئة كيف نصنع الحاجز النفسي يقول هؤلاء نصعد التشنج الطائفي لذلك الحكمة والموعظة الحسنة والتي هي أحسن في هذا الزمان بل في كل الأزمنة هي الميل إلى التوازن هي الميل إلى الهدوء هي الميل إلى تجسير العلاقات هي الميل إلى إطفاء النيران

المتقدة هنا وهناك هذا هو الحكمة هذه هي الموعظة الحسنة. لا يمكن لأحد أن تؤثر فيه بالمنطق وأنت تشتم مقدساته ما يمكن نقول خله يولي هو هم يقولك أنت هم ولي أنت حرمت هذه الأمة من فكر أهل البيت عليهم السلام ومن علم أهل البيت ومن فقه أهل البيت لأنك لم تستعمل الموعظة الحسنة لم تستعمل الحكمة مع هذا الإنسان ربما أنت في مكان آخر تقدر تسوي شي لكن هذا الانسان ضمن هالظرف وفي هذا المكان يحتاج إلى أسلوب يفتح قلبه وترى قضية التصعيد والتشنج مو معناه أن الإنسان موالي زايد إلى أهل البيت ليس كذلك تعالوا شوفوا في علمائنا شلون كانت لغتهم شلون كانت مناقشتهم هذا السيد شرف الدين أعلى الله مقامه السيد عبد الحسين هذا العالم المجاهد جاهد الفرنسيين وجاهد التخلف وجاهد التفرق والتمزق وكتب من الكتب في الدفاع عن أهل البيت أروع الكتب تعال شوف طريقته في المراجعات كيف هي هذا أنا لما أسب وأشتم يعني أنا أكثر ولاءً لأهل البيت منه كم من الناس كم من الآلاف كم من عشرات الآلاف كم من مئات الآلاف ممن اهتموا إلى طريق أهل البيت بواسطة المراجعات هذا يفتح القلب هذا محاسن كلامنا هذا بالتالي هي أحسن ويتنتج النتائج المطلوبة»^(١).

■ الشروع في المواجهة:

في البداية وقبل الشروع في المواجهة والرد أود أن أوضح مسألة في مقدمة بسيطة وهي: إن الشيخ فوزي السيف وكثير من أمثاله يتصوِّرون أن التيار الرافضي ليس لديه سلاح إلا السب والشتم ولا يفقه غيرهما، ولا يخفى على المتبعين أن هذه التهمة مغالطة كبيرة وكذبة

(١) قد يكون المنقول غير مفهوم بالنسبة للقارئ لأنه نقل حرفياً من باب الأمانة العلمية حسب ما ذكره الشيخ السيف بين اللهجة العامية والفصحى،

لذا يفضل الاستماع للمقطع المرئي عبر «يوتيوب» بعنوان: «الشتامون هل هم أكثر ولاء من السيد شرف الدين؟».

مفضوحة من التيارات المعادية لتيار البراءة، وقد تلقفها الشيخ فوزي وغيره منهم عن طريق المقاطع المبتورة ثم ردها على المنبر بدون تحقيق وتثبت! وهذا القول -أي أن التيار الرافضي ليس لديه سلاح إلا السب والشتم- خلاف الإنصاف؛ فالتيار الرافضي يقدم في كل نقاشاته ومقابلاته ورقة بحثية علمية يناقش فيها المطاعن على زعماء المخالفين، ويعرض الأدلة والبراهين على انحرافهم وزيغهم وضلالهم، وقد ساهمت هذه البحوث في تبصير عدد كبير جداً من أبناء العامة فكيف تحتزل النتاج العلمي لهذا التيار في السب والشتم تأسياً بأسلوب ومنهج المخالفين في التعاطي معنا حيث يقولون بأن الشيعة ليس عندهم سوى السب! إن عرض الحقائق التاريخية وبيانها يقود إلى ما يعتبره الآخر سباً، ولا ننكر أنه كذلك حيث السب في اللغة يعني القطع ولذلك سميت الكلمة المؤلمة للطرف الآخر سباً، فلا بد أنك ستصف الظالم بالظلم والفاسق بالفسق والكاذب بالكذب، فليس أمامك خيار عند عرض تاريخ الشخصيات سوى وصفها بما هي أهلها، فحين تصف حالها وهذا بطبيعة الحال يجرح الطرف الآخر ويؤذيهِ لكونه ثلماً لشخصيات هو يعظمها ولن تفرّ في جميع الأحوال مهما حاولت من أن توصف بالسباب من قبل الآخر الذي يعظم تلك الشخصية.

ثم إنه بين اللعن والسب خصوص وعموم؛ فالسب هو القدح في الشرف والعرض والأخلاق والدين والمروءة بينما اللعن دعاء بطلب الطرد من رحمة الله، وهو يستبطن معنى السب أيضاً؛ لأنه ينطلق من القدح في دين وعقيدة الشخص الملعون.

إنّ التيار الرافضي لا يلعن الظالمين اعتباطاً بل يقدم في كل محفل أو جلسة أو محاضرة أو مقابلة تلفزيونية ورقة بحثية يناقش فيها المطاعن على زعماء المخالفين، ويعرض الأدلة والبراهين على انحرافهم وزيغهم وضلالهم وليس الأمر كما يدعي الشيخ فوزي وغيره من أنها لا تعدو كونها مجرد شتم وسباب!

نعم إن التيار الرافضي البرائي لا يتحرّج من الجهر بلعن وثلب وتسقيط الطغاة الأوائل وغيرهم من رموز الانحراف كما أنك لا تتحرّج من لعن يزيد بن معاوية وثلبه، فإذا كان لعن وسب الأوائل لا يجوز في نظرك فلا تلعن وتسب يزيد أيضاً! ولا تسب شمراً فنصفه بأن له بوزاً كبوز الكلب وشعراً كشعر الخنازير، ولا تقل عن قتلة الحسين وأعداء أهل البيت وقتلتهم أبناء بغايا كما وصفتهم الحوراء عليها السلام وإلا ستكون ممن يكيل بمكيالين!

■ هلا لنفسك كان ذا التأديب؟!

ما هذه الازدواجية يا من تزعمون الحرص على الوحدة مع مخالفكم وتعيون على غيركم وتصفونهم بالشتامين السبايين! بينما لا تتحرّجون من جعل الرافضة البرائين في ميزان مع الأمويين! أليست هذه المقارنة التي يعقدها الشيخ أعظم السب والنيل؟! ألم يجد أسلوباً أكثر لطفاً من هذا؟ ألا يعرف أسلوباً لطيفاً كالذي يستخدمه مع النواصب والمخالفين ليستخدمه في نقد التيار الرافضي؟!

لماذا لا تدعو هذا التيار أو تنتقده بالحكمة والموعظة الحسنة كما تُطالب غيرك بأن يدعو بالحكمة والموعظة الحسنة مع المخالفين بل حتى النواصب؟!

وقد قلت في المقطع المرئي: «لذلك الحكمة والموعظة الحسنة والتي هي أحسن في هذا الزمان بل في كل الأزمنة هي الميل إلى التوازن هي الميل إلى الهدوء هي الميل إلى تجسير العلاقات هي الميل إلى إطفاء النيران المتقدة هنا وهناك هذا هو الحكمة هذه هي الموعظة الحسنة».

أقول: فهل من الحكمة والموعظة الحسنة والتوازن والهدوء وتجسير العلاقات وإطفاء النار هو وصفك للتيار الرافضي بالأمويين أو أداة في يدهم؟! وإينهم - أي التيار الرافضي - من صنّع الحواجز لمنع المخالفين عن تقبّل الحق؟!

يا أيها الرجل المؤدب غيره

هلا لنفسك كان ذا التأديبُ؟!

■ الحاجز النفسي المزعوم:

قال الشيخ فوزي السيف: «الآن في هالفترة إلي ما في مجال للمنع خيلنا نسوي الحاجز النفسي ونفصل عامة الأمة عن هذه الفئة كيف نصنع الحاجز النفسي يقول هؤلاء نصعد التشنج الطائفي!»!

أقول: إن الحاجز النفسي بيننا وبين المخالفين يتمثل في انعدام الثقة؛ فالمخالف ليس مغفلاً كما تظنون فهو يرى في كتبنا ومصادرنا المعتبرة الطعن في رموزه بكل صراحة ثم يسمع منكم خلاف ذلك، وهذا يجعله يعتبر كل الشيعة كذابين دجالين؛ لأنهم لا يقولون الحقيقة الثابتة في كتبهم ومصادرهم، ومن هنا تنعدم ثقته بالشيعة فينفر منهم ولا يتقبل الحق. إن التيار الرافضي نستطيع تسميته بتيار المصارحة؛ فهو يصارح المخالفين ويبيّن لهم سبب عدائنا لرموزهم بدلاً من المراوغة واللف والدوران واستغفاهم بقول أنا نحترم كل الصحابة وما إلى ذلك من أكاذيب مفضوحة!

لماذا الهروب من الواقع وكل المخالفين كبيرهم وصغيرهم يعلمون جيداً بأن الشيعة يسبون ويلعنون رموزهم؟! لم يعد هناك مجال للمعاملة لأنك مهما حاولت في هذا العصر أن تجامل الأطراف الأخرى فإنهم سيصمونك بالنفاق وستذل نفسك؛ فإن الأمور اتضحت وانفتح العالم بعضه على الآخر ولم يعد هناك مجال لإخفاء شيء.

إن أي فرد في هذا العالم إذا ما أراد أن يعرف موقف الشيعة من عائشة مثلاً، فكبسة زر واحدة على المواقع الشيعة التي تتضمن المصادر الشيعة الأصلية؛ ككتب الحديث وكتب العقيدة والكلام والتفسير الروائي سيطلع ويكتشف أن الشيعة يهينون تلك المرأة، ويكفيه

هذا للوصول إلى الحقيقة حتى لو لم يكن هناك تيار في العالم اسمه «التيار الرافضي البرائي» قد قام بإفشاء ما في هذه الكتب من أمور هي حق وجاهر بها علانية، ففي أي مكان من الأرض يوجد مخالف لإسلام أهل البيت عليهم السلام، وهذا بكبسة زر اليوم يعرف تلقائياً أن لدى الشيعة موقفاً معادياً لعائشة ورافضاً لها تبعاً لأئمة أهل البيت عليهم السلام الذين اعتبروها كافرة ومجرمة بالإضافة إلى تعابير علماء الشيعة الذين وصم أحد أكابر علمائهم -وهو المجلسي- عائشة بـ«أم الشرور»^(١) لا «أم المؤمنين» في أحد فصول كتابه! وأقر ما نقله عن أحد العلماء من وصفها بعبارات تحقيرية وهي كالتالي: «عنكبوت حيوان ضعيف الحميراء سخيفة العقل قليلة العقل والدين». إلى غير ذلك من شواهد في كتب الشيعة على تسقيطهم لتلك المرأة والنيل منها بأشد التعابير، فتتضح حينها له الأمور، ولذا فإن التكليف الشرعي للإنسان الشيعي في هذا العصر هو أن يكون صادقاً مع الله وصادقاً مع أهل البيت عليهم السلام وصادقاً مع الناس في شأن حقيقة عدائه لعائشة في القول والعمل بدلاً من المراوغة وتلميع العبارات فهذا لا يمكن أن نمحو به حقيقة كون علمائنا الأبرار وأئمتنا قد نالوا من عائشة وكفروها وأهانوها بناءً على ما في سيرتها من طامات وتجاوزات لأحكام الله وتعد على رسول الله وأئمة أهل البيت عليهم الصلاة والسلام وجرائم في حقهم وحق المسلمين والإسلام.

متى سيفهم الشيعة أن العالم قد تغير وتغيرت قواعد اللعبة كما يقولون؟! متى سيفهم الشيعة أننا نخلق واقعا جديداً، نحصر فيه المخالف في زاوية حرجة تجعله لا يتمكن من الانعتاق منها إلا باعتراف التشيع أو السكوت عنه على أقل تقدير؟! أما أن المخالفين يسبون، فذلك ديدهم منذ القدم، وليس هذا بالجديد، على أنك لو دققت في التاريخ لوجدت أن اليهود

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٣١، ص ٦٤١، نقل عن كتاب الصراط المستقيم للعامل، ج ٣، ص ١٦١.

والمراحل السابقة التي كان الشيعة فيها مطبقين على الصمت هي أكثر الفترات التي شهدت سبباً منهم لنا بل وقتلاً! فإن السكوت يجريّ الخصم.

الظروف حينها تتغير، تتطلب أيضاً تغيير الاستراتيجية، وما كان مسكوتاً عنه سابقاً، يُجهر به حالياً وإن كان في نظر المخالف من سوء القول؛ فعلى الشيعة بحق أن يكون مستعداً للنقاش وكشف مثالب عائشة والنيل منها بالانفتاح على كافة المصادر والتسلّح بالعلم والتمكّن من أدوات فن الحجاج^(١).

والأمر الآخر الذي سبّب الحاجز النفسي عند المخالفين هو التحالفات السياسية من الدول والأحزاب المحسوبة على التشيع؛ كتتحالف إيران مع النظام السوري، ودخول حزب الله إلى سوريا ومساندة النظام الجائر، الأمر الذي أشغل فتيل الحرب والحقد على الشيعة بل أعطى الآلة الإعلامية البكرية مادة خصبة للتحريض على قتل الشيعة؛ لأنهم - حسب ادعاءهم - يقتلون إخوانهم في سوريا وهذا ما سبّب الغليان الطائفي عند المخالفين ونفورهم من الشيعة والتشيع^(٢)، بل سبّب ذلك تجنيد الكثير من المخالفين والتحاقهم بصفوف تنظيم القاعدة وما يسمى بـ «داعش»!

أما الخلاف الكلامي بيننا وبين المخالفين فهو ليس وليد الساعة بل هو منذ أكثر من ١٤٠٠ سنة، وقد جهر بالبراءة علماً ونا الأبرار على مرّ العصور، ونشروا أحاديث أهل البيت عليهم السلام الطاعة في أعدائهم وسننقل بعض النماذج في السطور القادمة إن شاء الله.

(١) راجع تعليقات الشيخ الحبيب على الضحّة المفتعلة من أنصار عائشة سنة ١٤٣١ هـ الحلقة الخامسة.

(٢) في الوقت الذي كنا نحضّر هذا الكتاب للطباعة وصل إلى مسامعنا خبر استبصار أحد الأخوة من سوريا وركوبه سفينة النجاة، وقد نقل الأخ المذكور قصة استبصاره، ومنها أنه كان حاقداً على الشيعة بسبب التحالف الإيراني السوري، ومساندة حزب الله لهذا النظام الجائر الأمر الذي جعله يتفرّج عن البحث في حقيقة الشيعة لولا أن لفت انتباهه هذا المنهج الراض لكل ظالم، فسمع منه رفضه للنظام السوري الجائر، وهذا ما دعاه لمتابعة المحاضرات حتى توصل إلى أحقية أهل البيت عليهم السلام بالخلافة فتبرأ من أعدائهم.
 راجع «يوتوب» بعنوان: «محمد من سوريا: نفرت من التشيع ولكن الشيخ الحبيب جذبني إليه فتشيعت!».

■ مواجهة في الأسلوب الدعوي:

قال الشيخ فوزي السيف: «لذلك الحكمة والموعظة الحسنة والتي هي أحسن في هذا الزمان بل في كل الأزمنة هي الميل إلى التوازن هي الميل إلى الهدوء هي الميل إلى تجسير العلاقات هي الميل إلى إطفاء النيران المتقدة هنا وهناك هذا هو الحكمة هذه هي الموعظة الحسنة. لا يمكن لأحد أن تؤثر فيه بالمنطق وأنت تشتم مقدساته ما يمكن تقول خله يولي هو هم يقولك أنت هم ولي أنت حرمت هذه الأمة من فكر أهل البيت عليهم السلام ومن علم أهل البيت ومن فقه أهل البيت لأنك لم تستعمل الموعظة الحسنة لم تستعمل الحكمة مع هذا الإنسان...».

أقول: إن كلامكم هذا غير دقيق، فنحن بلا شك نعلم جيداً أن منهج القرآن وأئمة أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام هو الموعظة الحسنة، ولكن لا نغفل عن أنه من الجهة الأخرى من منهجهم أيضاً النيل من أعداء الله تعالى بما يجعلهم مطرودين عن دائرة الاعتبار في أعين الناس، وبما يجعل الناس تحترس من الاقتراب من هذه الشخصيات المنحرفة ومن مناهجها الوضعية، فليس من التوازن المنهجي في الإسلام أن نتمسك بجانب ونترك الجانب الآخر ففي بعض الأحيان تكون الحكمة في المواجهة لا في المواجهة.

وهناك فرق في أسلوب التعاطي والتعامل بين المسلم العادي وبين رمز الكفر والنفاق فحينما تعامل مع المسلم العادي الجاهل أعامله بإحسان ولطف وأخلاق حسنة كما تعامل الإمام الحسن عليه السلام مع ذلك الشامي المخدوع الذي شتمه!

فرد الإمام الحسن عليه السلام بقوله: «أيها الشيخ أظنك غريباً ولعلك شبهت فلو استعبتنا أعتبنك ولو سألتنا أعطيناك ولو استرشدتنا أرشدناك ولو استحملتنا حملناك وإن كنت جائعاً أشبعناك وإن كنت عرياناً كسوناك وإن كنت محتاجاً أغنياك وإن كنت طريداً آويناك وإن كان لك حاجة قضيناها لك فلو حركت رحلك الينا وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك لأن لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كبيراً، فلما سمع الرجل كلامه بكى ثم قال:

أشهد انك خليفة الله في أرضه الله أعلم حيث يجعل رسالاته وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إلي والآن أنت أحب خلق الله إلي، وحول رحله إليه وكان ضيفه إلى أن ارتحل وصار معتقداً لمحبتهم»^(١).

أما رمز الكفر والنفاق فيجب التعامل معه بالغلظة لقوله تعالى: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ»^(٢). وهذا ما فعله الإمام الحسن عليه السلام مع عمرو بن العاص لعنه الله حين قال عليه السلام مخاطباً إياه: «ما أنت يا عمرو بن العاص الشاني اللعين الأبتري، فإنما أنت كلب أول أمرك أن أمك بغية، وأنتك ولدت على فراش مشترك، فتحاكمت فيك رجال قريش»^(٣)!

وكذلك ما فعله الإمام الحسين عليه السلام مع مروان بن الحكم لعنه الله في ذلك الموقف الذي عصر فيه حلقة ولوى عليه عمامته وطرحه أرضاً حتى غشي عليه ثم قال عليه السلام «وإني لا أعلم أن في الأرض ملعون ابن ملعون غير هذا وأبيه، طريدي رسول الله...»^(٤).

وكذلك ما فعله الإمام الحسين عليه السلام أيضاً مع عمر بن الخطاب، فقد روى الطبرسي في الاحتجاج أن عمر بن الخطاب كان يخطب الناس على منبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فذكر في خطبته أنه أولى بالمؤمنين من أنفسهم فقال له الحسين عليه السلام - من ناحية المسجد-: «انزل أيها الكذاب عن منبر أبي رسول الله لا منبر أبيك»^(٥)!

(١) مناقب آل أبي طالب ابن شهر آشوب، ج٣، ص١٨٤، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج٤٣، ص٣٤٤.

(٢) التوبة: ٧٣.

(٣) الاحتجاج للطبرسي، ج١، ص٤١١.

(٤) الاحتجاج للطبرسي، ج٢، ص٢١.

(٥) الاحتجاج للطبرسي، ج٢، ص١٣.

وكذلك ما فعله الإمام علي عليه السلام مع الأشعث بن قيس حيث قال عليه السلام وهو يخاطبه: «وما يدريك ما علي مما لي عليك لعنة الله ولعنة اللاعنين حائك ابن حائك منافق ابن كافر والله لقد أسرك الكفر مرة والإسلام أخرى فما فداك من واحدة منهما مالك ولا حسبك وإن امرأً دَلَّ على قومه السيف وساق إليهم الحتف لحري أن يمقته الأقرب ولا يأمنه الأبعد»^(١).

فتلاحظ شيخنا أن التعامل مع العوام يختلف عن التعامل مع رموز الكفر والنفاق. قد تقول هنا: إنه لم يكن في زمان موسى وهارون عليهما السلام أكفر وأطغى من فرعون لعنه الله ومع ذلك كان التوجيه الإلهي لهما عليهما السلام: «أُذْهِبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى * فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا». فإذا كان الأمر هكذا من دعوة موسى وهارون عليهما السلام إلى أن يقولوا القول اللين لأطغى وأكفر من كان في زمانها فكيف يدعى إلى الشدة مع الطاغى وأضرابه؟ أقول: الجواب في تنمة الآية: «لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى». فلاجل (لعل) هذه، وحتى لا تكون حجة لفرعون يوم القيامة إذا بدئ معه بالشدة والعنف، ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى أن تبدأ دعوة فرعون إلى الإسلام والكف عن الظلم باللين، وهكذا الحال مع كل من يُوجّه إليه خطاب الإسلام في بادئ الأمر يُبدأ معه باللين ثم إذا جحد وعاند واستمر في كفره وطغيانه حلّت الشدة محل اللين والغلظة محل الرقة^(٢).

وإننا نجد في ما حكاه الله تعالى أن موسى عليه السلام لم يلتزم اللين المأمور به، بل تعداه إلى الخشونة كما في قوله لفرعون: «وَإِنِّي لَأَظُنُّكَ يَا فِرْعَوْنُ مَثْبُورًا». أي هالكاً ملعوناً معدباً لا خير فيك!

(١) نهج البلاغة.

(٢) تحرير الإنسان الشيعي للشيخ الحبيب، ص ٦٢.

وهذا العدول عن اللين إلى التعدي لم يكن اعتباطاً، حاشى الكليم عليه السلام، وإنما كان حكمة، ذلك لأن اللين إنما يمكن التزامه حال الشروع في دعوة المدعو، فإذا أبدى تكبره وجحوده لم يكن للين معه سبيل، وفرعون لعنه الله أصّر على غيّه رغم الآيات البيّنات التي رآها وأتم بها موسى الحجّة عليه، فقد قال الله تعالى: «وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى». وزاد على تكذيبه الطعن بنبي الله إذ قال له: «إِنِّي لَأُظَنُّكَ يَا مُوسَى مُسْحُورًا». فكان من الحكمة بعدئذ التعدي عليه ورشقه بما هو أهله من سهام الكلام والقوادح. فالشاهد، أنه لا ينبغي توهم إبقاء مخاطبة المدعو في مستوى اللين دوماً، فقد يكون اللازم تصعيد لهجة الخطاب وتسنيئها معه^(١).

ولذلك لعن أهل البيت عليهم الصلاة والسلام الرموز المنحرفة جهاراً نهاراً في أحاديث كثيرة فهل يستطيع الشيخ فوزي القول بأنهم عليهم السلام لم يدعو إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة حينما لعنوا أعداءهم المعاندين المعتدين؟ إن القرآن الكريم كما أنه يدعو من جهة إلى الدعوة بالموعظة الحسنة فإنه من جهة أخرى يلعن ويسب ويسفّه الكفار والمنافقين ورموز الضلال؛ لأن الحكمة تقتضي ذلك. قال تعالى في حق العالم المنحرف بلعم بن باعورا: «فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمَلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ»^(٢).

وقال تعالى في أحبار اليهود: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»^(٣).

(١) حل الإشكال حوار بين أهل العالم الأول وأهل العالم الثاني، الصادر عن هيئة اليد العليا /، ص ١٩٣ - ١٩٤.

(٢) الأعراف: ١٧٧.

(٣) الجمعة: ٦.

وقال أيضاً في حق أحد طواغيت قريش: «عُتِلُّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٌ»^(١). أي ابن زنا! وغيرها من آيات عديدة في هذا الشأن بل إن الآية التي تدعو إلى الجدل بالتي هي أحسن مع الطوائف الأخرى تستثني منهم الظالمين.

قال تعالى: «وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ»^(٢). الظالمون كما ترى مستثنون وليس جداهم بالتي هي أحسن إنما بالتي هي أحسن، كما استخدم القرآن في حربه لهم ألفاظاً تحقيرية توهينية، وتكون الموعدة الحسنة مع ذلك الذي نراه مخدوعاً، مُضَلَّلاً، جاهلاً، نحتمل فيه الهداية إلى الحق.

الأمر الآخر هو أن أهل البيت عليهم السلام قد فسروا المجادلة بالتي هي أحسن على أنها المجادلة بالقرآن، فقد روى الكليني في الكافي الشريف عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن بكر بن صالح، عن القاسم بن بريد، عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبدالله عليه السلام قال: «... في شرح قوله تعالى - «ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» يعني بالقرآن»^(٣).

وقال علي بن إبراهيم القمي: «وقوله: «وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ» قال: بالقرآن»^(٤).

(١) القلم: ١٤.

(٢) العنكبوت: ٤٧.

(٣) الكافي الشريف للشيخ الكليني، ج ٥، ص ١٣.

(٤) تفسير القمي، ج ١، ص ٣٩٤.

ولا شك أن المجادلة بالقرآن تشمل اتخاذ منهج القرآن أسلوباً في المجادلة، ومن أساليب القرآن النيل من رموز الباطل والمعاندين وتحقيرهم كوصف الكفار بالبهائم، وعلماء اليهود بالحمير، وبلعم بن باعورا بالكلب والوليد بن المغيرة بالزنيمة^(١)، والكفار بالأنعام وغيرها. وكما أسلفنا أن المجادلة بالتي هي أحسن قد استثنى منها الظالم فقال تعالى: «إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ»^(٢). فالظالمون كرموز الباطل ومن تابعهم عن عناد - بعد إقامة الحجة عليه - ليس داخلاً في المجادلة بالتي هي أحسن بل هؤلاء حقهم اللعن والسب.

وفي موضوع المجادلة بالتي هي أحسن، ذكر الشيخ فوزي السيف -هده الله- في مقطع آخر لمحاضراته نموذجاً ادعى فيه أن السيدة الزهراء عليها السلام، وكذلك السيدة زينب الكبرى لم يستعملا الخشونة في مخاطبة الطغاة ورموز الباطل!

يقول الشيخ فوزي: «تلاحظوا أن خطابات أهل البيت عليهم السلام أكو وضع منشج أكثر من الوضع الذي عاشت فيه سيدتنا الزهراء عليها السلام فد وضع قوم أجو أخذوا الخلافة أخذوا فدكا فيما بعد أطور الأمر إلى إيذاء للسيدة الطاهرة فاطمة الزهراء عليها السلام وهي الآن جايه تخطب لو أنا مثلاً كنت في هذا الوضع أو أنت في هذا الوضع أول ما نبدأ نشتمهم يا فاعلين يا تاركين كذا منكم والله يلعنكم و و و إلى آخره... لأن شحنة نفس وغضب موجودة لكن فاطمة الزهراء عليها السلام شيء آخر تعالوا شوفوا خطابها اشلون يتسلسل بالحكمة والموعظة الحسنة ويصل إلى النتيجة التي كانت تريدها من دون أن يكون فيها خشونة في القول لأنها تريد تأثير على الحاضرين...»^(٣).

(١) أي ابن الزنا.

(٢) العنكبوت: ٤٧.

(٣) راجع يوتيوب بعنوان: «خطبة الزهراء المصداق الأكمل للموعظة الحسنة».

ويتابع قوله : «والسيدة زينب سلام الله عليها خطبت في مجلس يزيد بيتعد عن منزلها قرابة ١٨٠٠ كيلو متر ذهبت هذه المسافة الطويلة مسببة يحفها الضرب والتعب والجوع وفقد الرجال طيب وهناك تقوم خطيبة بذلك المنطق... فوقت ذلك الموقف وخطبت ذلك الخطاب المليء بالمعاني الملية بالمضامين المتوازن غير المتشنج الذي يؤثر في قلوب الحاضرين مع أنهم كانوا على خط مخالفة أهل البيت عليهم السلام استخدمت الأساليب المختلفة من جهة حكمة منطق ومن جهة أخرى تأثير نفسي موعظة حسنة الي قلنا جوانب قلبية يتأثر بها المخاطب...».

أقول: الجواب على هذا في عدة نقاط:

أولاً: كانت الزهراء عليه السلام في خطبتها الفدكية في مقام الاحتجاج وإثبات أن أرض فدك حقها، وليست في مقام إعلان البراءة ممن ظلمها لكي تلعنهم وتبرأ منهم، وكذلك كان موقف السيدة زينب عليها السلام.

ثانياً: جاء في خطبة الزهراء عليها السلام: «ظهر فيكم حسكة النفاق». وقالت أيضاً: «ابتدارا زعمتم خوف الفتنة ألا في الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين». وقالت أيضاً: «أم بغيره تحكمون بئس للظالمين بدلا ومن يتبع غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين». وحينما وجهت خطابها إلى أبي بكر قالت عليها السلام: «يا ابن أبي قحافة أفي كتاب الله أن ترث أباك، ولا أرث أبي؟ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا»^(١). وقالت عليها السلام أيضاً: «فدونكها مخطومة مرحولة، تلقاك يوم حشرك، فنعم الحكم الله، والزعيم محمد، والموعود

القيامة، وعند الساعة يخسر المبطلون ولا ينفعكم إذ تندمون «لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ»^(١). «فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ»^(٢).

لاحظ شيخنا أن مولاتنا الزهراء عليها السلام في ردها على أبي بكر وأتباعه وصفتهم بالمنافقين والكافرين والظالمين والخاسرين، ثم وجهت خطابها إلى أبي بكر خاصة فوصفته بأنه كذاب مفترى، وكذلك توعدته بالعذاب الأليم والخسران المبين والخزي يوم لا ينفع الندم أمام العدالة الإلهية بزعامة النبي محمد صلى الله عليه وآله!

فهل تجد هذا الخطاب ليّناً؟

ثم وجهت خطابها إلى معشر الأنصار وأمرتهم بقتال أبي بكر وأضرابه الذين نكثوا إيمانهم وحذرتهم من الكفر واستمرار الخذلان والغدر، حيث قالت عليها السلام مستشهدة بكتاب الله: «أَلَا تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَءَوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتُخْشَوْنَهُمْ فَأَلَّهِ أَحَقُّ أَنْ تُخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ»^(٣).

وأمرتهم عليها السلام بقتال أبي بكر وحزبه: «فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهِمْ يَنْتَهُونَ»^(٤).

فهل هذا الخطاب ليّن أم خشن؟

وكذلك استخدمت الحوراء زينب الكبرى صلوات الله عليها الخشونة أيضاً في خطابها فحينها واجهت الطاغية يزيد لعنه الله رتمته بالكفر واستحقرته وقالت: «يا ابن الطلقاء». ودعت

(١) الأنعام: ٧.

(٢) هود: ٤٠.

(٣) التوبة: ١٣.

(٤) التوبة: ١٢.

عليه وتوعدته ومن مكّنه من رقاب المسلمين -أي أبيه معاوية- بالانتقام الإلهي وقامت بتوبيخه وتقريعه واستصغار قدره ووصفت شيعة بحزب الشيطان، حيث قالت عليها السلام: «فَوَ اللَّهِ مَا فَرَيْتَ إِلَّا جِلْدَكَ، وَلَا جَزَزْتَ إِلَّا لِحْمِكَ، وَلَكَّرِدَنَّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ بِمَا تَحْمَلْتِ مِنْ سَفِكِ دِمَائِ ذَرِيَّتِهِ، وَانْتَهَكْتَ مِنْ حُرْمَتِهِ فِي عِزَّتِهِ وَحُمَتِهِ! حَيْثُ يَجْمَعُ اللَّهُ شَمْلَهُمْ، وَيُلْمُّ شَعَثَهُمْ، وَيَأْخُذُ بِحَقِّهِمْ. «وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أحيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَرِّقُونَ». حَسْبُكَ بِاللَّهِ حَاكِمًا، وَبِمَحْمَدٍ خَصِيمًا، وَبِجَبْرِئِيلَ ظَهِيرًا، وَسَيَعْلَمُ مَنْ سَوَى لَكَ وَمَكَّنَكَ مِنْ رِقَابِ الْمُسْلِمِينَ بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا! وَأَيْكُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا! وَلئن جَرَّتْ عَلَيَّ الدَّوَاهِي مُحَاطَبَتِكَ، إِنِّي لَأَسْتَصْغِرُ قَدْرَكَ، وَأَسْتَعْظُمُ تَقْرِيعَكَ، وَاسْتَكْبِرُ تَوْبِيخَكَ!! لَكِنَّ الْعَيُونَ عَبْرَى، وَالصُّدُورَ حَرَى. أَلَا فَالْعَجَبُ كُلِّ الْعَجَبِ لِقَتْلِ حِزْبِ اللَّهِ النُّجَبَاءِ، بِحِزْبِ الشَّيْطَانِ الطَّلَقَاءِ»^(١)!

فهل هذا الخطاب لير؟

ثالثاً: لماذا حصر الشيخ فوزي أسلوب ومنهج الزهراء وابنتها الحوراء عليهما السلام بما جاء في خطبتيهما فقط؟! فهناك نصوص أخرى استخدمت فيها كلتلا السيدتين عليهما السلام عبارات خشنة مع الرموز المنحرفة، فقد قالت الزهراء عليها السلام لأبي بكر وعمر: «والله لأدعون عليكما في كل صلاة أصليها»^(٢). فقد روى أحد أعظم علماء أهل الخلاف ومؤرخيهم وهو ابن قتيبة في كتابه المعروف المشهور والمتداول بعنوان «الإمامة والسياسة» تجدون في هذا الكتاب أنا أبا بكر وعمر في رواية مطولة بأنهما جاءا إلى الزهراء عليها السلام في أواخر أيام حياتها وهي مريضة صلوات الله عليها فسلمّا عليها فلم ترد عليهما السلام! ثم

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٤٥، ص ١٣٤.

(٢) الإمامة والسياسة ابن قتيبة، ج ١، ص ٢٠.

جرى بينها نقاش فقالت الزهراء عليها السلام لأبي بكر وعمر: «فإني أشهد الله وملائكته إنكما أسخطتماني وما أرضيتاني، ولئن لقيت النبي لأشكونكما إليه والله لأدعون عليكما في كل صلاة أصليها».

فالزهراء صلوات الله عليها لا تدعو ولا تلعن أبا بكر وعمر في الصلوات المفروضة فحسب بل حتى الصلوات المستحبة أيضاً كصلاة الليل مثلاً - في كل صلاة أصليها - فهي تدعو عليها وتلعنهما في كل الصلوات فكيف يقال بعد هذا أنها لم تستخدم الحشونة؟! وكذلك السيدة زينب عليها السلام قالت في حق قتلت الحسين عليه السلام: «قتيل أولاد البغايا»^(١)!

وهذا عين ما يصنعه الرافضة الأبرار اقتداءً بمولاتهم الزهراء والسيدة زينب الكبرى عليهما السلام أثناء طرحهم الأوراق البحثية والمحاضرات العلمية، تجرد التسلسل بالحكمة والموعظة الحسنة والاحتجاج المنطقي والعقلي والنقلي السليم من كلام الله تعالى وأقوال محمد وآله الطاهرين عليهم السلام، وما في كتب القوم وتصل إلى النتيجة والمراد وتؤثر نفسياً على المستمع بحيث نشهد إعلانات ركوب سفينة النجاة بكثرة من شتى بقاع العالم بما فيهم أكثر الجهات تطرفاً كتنظيم القاعدة مثلاً، بينما لم نشاهد ذلك من المناوئين المحاربين لهذا المنهج المبارك!

(١) اللهوف في قتل الطفوف لابن طاووس، ص ٧٨.

■ خلافُ الإنصاف:

قال الشيخ فوزي السيف: «لا يمكن لأحد ان تؤثر فيه بالمنطق وأنت تشتم مقدساته ما يمكن تقول: "خله يولي" هو هم يقولك: "أنت هم ولي" أنت حرمت هذه الأمة من فكر أهل البيت عليهم السلام ومن علم أهل البيت ومن فقه أهل البيت...».

أقول: هذا خلاف الإنصاف فالتيار الرافضي البرائي يقدّم في كل نقاشاته ومقابلاته ورقة بحثية علمية يناقش فيها المطاعن على زعماء المخالفين، ويعرض الأدلة والبراهين على انحرافهم وزيغهم وضلالهم، وقد ساهمت هذه البحوث في تبصير عدد كبير جداً من أبناء العامة، فكيف تقول بأنه ينفرهم أو يجرمهم من فقه أهل البيت؟! وكيف تختزل النتائج العلمي لهذا التيار في السب والشتم تأسياً بأسلوب ومنهج المخالفين في التعاطي معنا حيث يقولون الشيعة ليس عندهم سوى السب!

التيار الرافضي البرائي يحقّر ويسقّط رموز الباطل وينال منها في سياق طرح موضوعي مدّعم بالحجج والبراهين والأدلة والمنهج العلمي الرصين ولا يُشكّل شتم ولعن رموز المخالفين من مجموع الكلام في أطروحاته العلمية شيئاً يُذكر.

فمن الإجحاف بحق هذا التيار أن يُقال بأنّ أكثر ما يطرحه هو سب رموز المخالفين، وإنّا نربأ بمثلكم عن ترديد ما يقوله خصوم هذا التيار حسداً منهم وبغياً.

ثم إنّ عرض مثالب وجرائم الظالمين والطواغيت لا يتنافى مع الجدل بالتّي هي أحسن، فحينما نذكر على الملأ بأن يزيد لعنه الله ظالم طاغية شارب للخمور قاتل للنفس المحترمة فنحن هنا نصف حاله ونعرض أفعاله بما يفضي إلى تبصير الطرف الآخر إن كان قابلاً للهداية.

إذا لعنت وسببت هذا الظالم في سياق الحديث عن جرائمه والبرهنة عليها لا يكون هذا منهجاً مخالفاً للقرآن والسنة المطهرة في ذكر جرائم بعض الأقوام ومثالبهم ثم لعنتهم وتحقيرهم والنيل منهم.

قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ»^(١).

وفي ظل هذا الانفتاح الذي لم يترك مجالاً لإخفاء شيء من عقائد الأديان والمذاهب لا يكون السكوت وستر الحقائق هو الحل، وإنما يكون في زيادة المشكلة؛ لأن الناس أعداء ما جهلوا، بل الحل هو في الجهر بالحقائق مع التمسك بالدليل والبرهان فهذا يكفينا مصداقية أمام الطرف المخالف وله آثاره الإيجابية في كسبه أيضاً.

■ كيف تهدي المخالف وأنت تشتم مقدساته؟!

قال الشيخ فوزي السيف: «لا يمكن لأحد -من المخالفين- أن تؤثر فيه بالمنطق وأنت تشتم مقدساته ما يمكن تقول: "خله يولي" هو هم يقولك: "أنت هم ولي" أنت حرمت هذه الأمة من فكر أهل البيت عليهم السلام ومن علم أهل البيت ومن فقه أهل البيت...»^(٢).

أقول: بيناً سابقاً بأن منهج إظهار البراءة ليس مجرد سب ولعن كما يحاول الشيخ فوزي وغيره تصويره، بل هو منهج المصارحة والحوار بكل شفافية ووضوح وعرض كل الحقائق على الطاولة بدون النزوع إلى المراوغة واللف والدوران كما يفعل ذلك المنهزمون حينما يوجه لهم أهل الخلاف أسئلة حساسة!

(١) البقرة: ١٦٠.

(٢) نجد القطع المرثي للشيخ فوزي السيف عبر «يوتيوب» بعنوان: «الشتامون هل هم أكثر ولاء من السيد شرف الدين؟».

فمثلاً يقول لهم المخالف: لماذا تسبون وتلعنون الصحابة؟ فيجبن المنهزم ويخاف فيجنح إلى اللف والدوران والكذب على المخالف وإجابته بأننا نحترم الصحابة وأمّهات المؤمنين! فيخال بذلك أنه أرضى المخالف بينما في الحقيقة يحصل العكس وهو إثارة سخط المخالف الذي يعتبر ذلك الجواب استغفلاً له ويتأكد عند هذا للمخالف كذب صاحب الجواب ومراوغته؛ لأنه يعلم جيداً موقف الشيعة من بعض صحابته ومن عائشة وحفصة يصل إلى حد البراءة منهم ولعنهم فلا فائدة من الاستمرار في الإنكار والفرار فهذا ثبت على أنفسنا تهمة الكذب والنفاق، بل نحاول نقل الكرة إلى ملعبهم بعرض المبررات من واقع الأدلة في القرآن والسيرة والتاريخ، فنتمترس بالحجج مدافعين ونسلك بالبراهين مهاجمين.

يقول المجدد الشيرازي الثاني أعلى الله مقامه: «يجب أن يتصدى الدعاة لبيان الحقيقة كاملة للناس، ولكشف القناع عن كل زيف وضلالة، فإن كثيراً من المبلغين والمؤمنين يخشى أن يقول الحق كل الحق ويكتفي ببيان بعضه ويحاول إرضاء وجدانه بذلك البعض فحسب! ولعل الكثير منهم يتعلل - لإرضاء وجدانه وإسكات خلافه - بأنه قد قام بجانب من الأمر، وأنه قد أثار بعض الظلم وجلّى بعض البهم وكفى! لكن ذلك شرعاً محرم، قال تعالى: «أَفَتَوْمُنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ». فإذا ظهرت البدع فعلى العالم ان يظهر علمه وإلا فعليه لعنة الله، أو سلب منه نور الإيمان»^(١).

إنّ الموقف والسلوك القويم في هذا العصر هو المصارحة والوضوح لا اللف والدوران، فبدلاً من إنكار كونك تسب وتلعن رموزهم قف وواجههم بالحقائق كما فعل المرجع الديني آية الله السيد عبد الله الشيرازي أعلى الله مقامه حينما سأله أحد علماء المخالفين في مكة المكرمة عدة أسئلة منها قوله: «المعروف أنّ الشيعة يسبون الصحابة، هل صحيح وبأي وجه يسبون؟ قال

(١) من فقه الزهراء عليها السلام للسيد محمد الشيرازي، ج ٣، ص ٤١.

-السيد عبد الله الشيرازي- : نعم، أما العوام فأغلبهم يسبونهم وأما العلماء فبعضهم يجوزون سيهم. قال: كيف وبأي دليل؟ قال السيد: هل يجوز سب علي بن أبي طالب عليه السلام مع أنه صهر النبي صلى الله عليه وآله وابن عمه وأبو سبطيه والذي قال في حقه النبي صلى الله عليه وآله: كذا وكذا؟ قال: لا يجوز. قال السيد: فلم سب معاوية عليا عليه السلام، وأمر بسبه في جميع بلاد المسلمين؟ وهل أنتم إذا كنتم في ذلك الزمان تقتلون معاوية أو غيره ممن كان يسب علياً؟ وهل تلعنون معاوية بفعله هذا؟ قال: لا. قال السيد: كيف مع أن سب علي كما اعترفت لا يجوز، غير أنكم تقولون: أن معاوية كان مجتهداً فاجتهد، فأدى اجتهاده إلى جواز سب علي وإن كان مخطئاً في اجتهاده. فقال: نعم. قال السيد: إن علماء الشيعة يجتهدون فأدى اجتهادهم إلى جواز سب الخلفاء والشيخين وعوام الشيعة يقلدون هؤلاء العلماء المجوزين للسب، فبأي وجه يكون الشيعي الساب للشيخين عالماً كان أو عامياً واجب القتل عندكم؟! فبهت وسكت»^(١).

سكت ذلك العالم البكري في مكة المكرمة هكذا صنع السيد عبد الله الشيرازي. هذا رجل حقاً وكم تحتاج أمتنا لمثله من الرجال؟

ألا نكون بمثل ثبات وشجاعة وعلم ذلك الرجل؟

هل من الصعب علينا أن نلتزم بهذه السيرة؟

ألم يكن المرجع السيد عبد الله الشيرازي عاقلاً؟ ألم يكن حكيماً؟ ألم يكن حريصاً على دماء الشيعة ومصالحهم؟

الجميع سيقول: نعم.

(١) مواقف الشيعة للأحمدي الميانجيني ج ٣، ص ٣٠٢-٣٠٣.

كان رحمه الله كذلك بلا ريب ولا شك، إذن بإقراره بأن علماء الشيعة يُجوزون سب رموز المخالفين وعوامهم يسبون أبا بكر وعمر وعثمان وسائر خلفاء الجور هذا الإقرار منه لم يكن يتنافى مع الحكمة والعقلانية والحرص على دماء الشيعة ومصالحهم هو يدل على أنه إن أنكر جعل لخصمه الحجة وبها يستقوي على الشيعة أكثر فأكثر فيخوض في دمائهم.

أما إن أقر السيد بصدق ما قاله ذلك البكري من كوننا نسب الصحابة، ومن ثمّ كرّ عليه مهاجماً كما صنع فإنّ ذلك الخصم يتراجع ولو نفسياً فلا تكون عنده تلك الجسارة على الشيعة والتشيع، وهذا التراجع النفسي ينعكس تراجه على جوارحه فتُحفظ دماء الشيعة^(١).

فالمصارحة هي التي تحفظ دماء الشيعة ويتراجع الخصم وهذا ما فعله أيضاً تلميذ الإمام الصادق عليهم السلام هشام بن الحكم رضوان الله عليه حينما جاء به هارون العباسي عازماً على قتله بحجة لعن عمر بن الخطاب وشهد عليه فقهاء البلاط حيث فقالوا: «صحّ عندنا إنه-أي هشام- يلعن عمر بن الخطاب ويبرأ منه ويحثّ الناس على لعنه ويلعن من لا يلعنه ولا يبرأ منه. قال هشام: الله أكبر اتضح الشك وأنا والله ألعن عمر بن الخطاب وأبرأ منه وأحثّ الناس على لعنه وألعن من لا يلعنه. فقال القوم: صحّ عندك يا أمير المؤمنين صدقتنا. فتحيّر الرشيد فقال: ويحك يا هشام ولمّ تفعل ذلك؟ قال -هشام-: يا مولاي لأمر إن سألتني عنها أخبرتك بها. فقال الرشيد -للسيف-: إرفع السيّف عنه. والتفت إلى هشام فقال: هات يا هشام ما عندك»^(٢).

فأخذ هشام بن الحكم يعدد مظالم عمر إتجاه العباس بن عبد المطلب حتى قال هارون العباسي: «ما هذه الأمور التي ظلّم بها جدي العباس؟» فأكد فقهاء البلاط صحة ما نقله

(١) راجع كتاب تحرير الإنسان الشيعي للشيخ الحبيب، ص ٢٢٨-٢٢٩.

(٢) مناظرات هشام بن الحكم في مجالس هارون الرشيد للدكتور خضر نهب، ص ٥٦.

هشام مما جعل هارون يغضب ويقول: «يحكم بغير حكم الله؟ يُشرف الله ويشرف النبي صلى الله عليه وآله جدِّي بشيء ويقلعه عمر بن الخطاب- ويدخل الذل عليه والله لو كنت حاضراً لضربت عنقه»^(١)!

وهذه الطريقة الذكية نجا هشام بن الحكم من القتل بعد أن كان تحت السيف! هذه هي أيضاً رؤية التيار الرافضي البرائي، وهي كما ترون تتوافق مع رؤية أفاض العلماء وأصحاب الأئمة عليهم السلام، هكذا نحن نرى أن نعالج الصراع التاريخي بيننا وبين الطوائف المعادية والمخالفة، كل الذي نريده هو أن لا نُحرم من بيان موقفنا الحقيقي تجاه الشخصيات الغابرة، وأن نستخدم كل الوسائل التي تكفلها الأعراف الدينية والإنسانية في تسقيط الرموز المنحرفة، فبين ذلك بصدق استناداً إلى الأدلة والبراهين التي لا نجور بها على أحد، وإنما هو العدل العدل يقتضي منا أن لا نسمح بأن يُسكت عن طائفة أو فئة تساوي بين الضحية والجلاد، فكيف نرضى أن يرضى الآخرون على أبي بكر وعمر وعثمان وأضرابهم ونحن نعتبرهم طغاة دمويين ظالمين لأهل البيت عليهم السلام وشيعتهم؟ بيننا لا يُسمح لنا في المقابل أن نلعنهم على الملأ وننال منهم بل تثور ثائرة أتباعهم؟ ما هو شعور العراقيين عندما يسمعون الثناء على قاتلهم صدام؟ هل يرضون أن يسمعوا الترضي عنه؟

نحن نطلب من المخالفين إما الكف عن جرح مشاعرنا بالترضي عن من هم في عقيدتنا قاتلون ظالمون مبتدعون أو أن يعاملونا بالعدل فيكون لنا الحق في لعنهم وسبهم وفضحهم وكشف مثالبهم هذا هو العدل.

(١) مناظرات هشام بن الحكم في مجالس هارون الرشيد للدكتور خضر نينا، ص ٧٩.

■ ترويض المخالف:

قد اعتدتم منذ الصغر على لعن يزيد ومعاوية وسبهما وذكر مثالبهما لذلك لا تقولوا للخطيب الذي يفعل ذلك بأنه سبّاب شتّام، بل تقول بأنّها يستحقان ذلك!
نحن نقول أنّ طواغيت السقيفة الأوائل يستحقون أكثر مما يناله يزيد لعنه الله منّا؛ لأنهم هم من أسس أساس الظلم والجور على أهل البيت عليهم السلام بل لديهم من الجرائم والموبقات ما يفوق جرائم يزيد ومعاوية.

ولو لاحظت فإنّ كثيراً من العامة لا يقيمون ليزيد ولا معاوية وزناً لماذا؟ لأننا حينها أصررنا على ذكر مثالبهما ومخازيها وأظهرنا البراءة منها تأثر الكثير من أبناء العامة واستبصروا بحقيقتها والذي لم يستبصر تعود على هذه اللغة وتعايش مع حقيقة وجود طائفة تنال من يزيد ومعاوية لعنهما الله.

فلو أصررنا على ذكر مثالب الأوائل بنفس هذه اللغة التي نستخدمها مع معاوية ويزيد سيستبصر أغلب أهل العامة ومن لم يستبصر يتعود على هذه اللغة فتقل ثورته تدريجياً ويتروّض ويصبح ثلب الأوائل تماماً كثلب يزيد ومعاوية لا يشكل أي حساسية زائدة عند المخالفين ولا يستدعي هلعهم.

لقد لاحظت من خلال الضجة التي حدثت قبل ثلاث سنوات^(١) على أثر الاحتفال الأول بهلاك عائشة كيف هلع المخالفون، وكأنّ الأرض تزلزلت من تحت أقدامهم، ولكن في الاحتفال الثاني لم يحدث ربع ما حدث في الاحتفال الأول من ضجة وصيحة وهلع، أما في الاحتفال الثالث والرابع فكانّ شيئاً لم يحدث أصلاً وأصبح الأمر طبيعياً بل إنّ كثيراً من

(١) المقصود ثلاث سنوات من تاريخ كتابة المقال بعد الاحتفال الرابع سنة ١٤٣٤ هـ وقد احتفلنا هذه السنة ١٤٣٧ هـ الاحتفال السابع.

هاجم التيار الرافضي معترضاً على إقامته الاحتفال الأول أصبح الآن يجهر بالبراءة ويشاركنا الاحتفال ويظهر مثالب الأوائل بكل صراحة بعد أن كان الحديث عنهم خطأً أحمرأً. وقد صُدمَ من جهة أخرى عدد كبير جداً من أبناء العامة بهذا الطرح وهذا ما دعاهم إلى البحث عن الأسباب فأدى ذلك إلى استبصارهم ومعرفتهم الحق. إن الشخصية المذمومة الملعونة صاحبة المثالب والموبقات لا بد أن يُنْفَرَّ الناس منها لذلك أكد الشارع المقدس على إظهار البراءة منها وسبها ولعنها.

قال صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سيهم والقول فيهم والوقية، وباهتوهم كي لا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويجذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة»^(١).

إن هنالك فائدة نحققها تصب في صالح حفظ نفوس الشيعة وهي فائدة غُفِّلَ عنها، مع أن آثارها ملموسة اليوم، وتتمثل بتجريد المخالف من الانفعال، وترويضه على تقبل وجود النقد الشيعي لرموزه كأمر طبيعي لا بد من التعايش والتكيف معه.

وهذا ما فعله التيار الرافضي البرائي لذلك تحقق على يده ببركات محمد وآله الطاهرين صلوات الله عليهم استبصار الكثير من المخالفين، ولو راجعت الفيديوهات على «يوتيوب» ستجد العشرات بل المئات من المستبصرين أعلنوا تشيعهم بسبب منهجية هذا التيار المُستفَاق من معين محمد وآله الاطهار صلوات الله عليهم ولعنته على أعدائهم.

(١) الكافي الشريف للشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣٧٥.

■ مقالة تخالف المسيرة الدعوية للأنبياء:

يقول الشيخ فوزي السيف: «لا يمكن لأحد ان تؤثر فيه بالمنطق وأنت تشتم مقدساته ما يمكن تقول: "خله يولي" هو هم يقولك: "أنت هم ولي"».

أقول: أنزل الله تعالى في أبي لهب: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ»^(١). وهذا الخطاب الشديد والقاسي من قبل الله سبحانه وتعالى اتجاه أبي لهب لم يمنع أبناءه عن تقبّل الإسلام، بل تقبلوا حقيقة أن أباهم ملعون فصححوا موقفهم على هذا الأساس وكان منهم مخلصون أيضاً لرسول الله صلى الله عليه وآله.

إن قولكم يُخالف سيرة الأنبياء والأوصياء الدعوية فقد استعمل هذا الأسلوب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام غير مرة وهو أسلوب الصدمة، ومن تلك الموارد ما قام به أمير المؤمنين عليهم السلام حين صدم عمّه العباس الذي زعم أنه لكونه صاحب سقاية الحجيج، فهو بذلك أفضل من علي عليهم السلام هكذا كان زعمه، فذكره أمير المؤمنين عليهم السلام أنه ضرب خرطومه بالسيف حتى آمن، وكانت صدمةً للعباس أن يخاطبه ابن أخيه بمثل هذه اللغة الخشنة فشكا العباس ذلك للنبي الأعظم صلى الله عليه وآله فقال النبي لعلي عليها وآلها الصلاة والسلام: «ما حملك على ما استقبلت به عمك؟». فقال عليه السلام: «صدمته بالحق فمن شاء فليغضب ومن شاء فليرض»^(٢). تقول الرواية فنزل قوله تعالى مصدقاً لكلام أمير المؤمنين عليهم السلام ومصححاً موقفه: «أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

(١) المسد: ٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج ١، ص ٣٤٣، وبحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٤١، ص ٦٤.

كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ»^(١).

إذا أسلوب الصدمة ضروري في بعض الأحيان وهذا الأسلوب يمكن ردع وزجر المتعدّي، كما يمكن أيضاً بهذا الأسلوب إرشاد الجاهل وتنبية الغافل أيضاً، ولكن لا يقتصر منهج الدعوة على هذا الأسلوب وإنما هو أسلوب من الأساليب ونحن إنما نعرض أمثلة تدل على شرعية هذا الأسلوب وصوابيته في موارد، لذا قيّدناه وقلنا أنه يصلح في التعامل مع المعتدين من أهل الريب والبدع والضلالة، ومع الظالمين، ومع الرموز التي تشخّص بها الباطل فصارت حاملة لهذا الباطل، ولا يسقط الباطل إلا بسقوطها هذه الرموز من الطبيعي أن تجد بعضاً من الطوائف المنحرفة تقدّسها وتحترمها وتسبغ عليها هالة من القداسة الدينية، هنا لا سبيل لك ولا مناص من أن تهتك هذه الرموز وتسقطها بالبرهان وبالمنطق وبشتى وسائل النيل ومن بينها السباب والتحقير والإهانة والأمثلة على ذلك من سيرة المعصومين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كثيرة.

فقد جهر رسول الله صلى الله عليه وآله بثلب آلهة الكفار وهي أقدس مقدساتهم! روى الطبري عن محمد بن إسحاق قوله: «فصدع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأمر الله وبأدى قومه بالإسلام فلما فعل ذلك لم يبعد منه قومه ولم يردوا عليه بعض الرد فيما بلغني حتى ذكر آلهتهم وعابها فلما فعل ذلك ناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته»^(٢).

وروى الطبري أيضاً: «فلما رأت قريش أن رسول الله صلى الله عليه وآله- وسلم لا يعتبهم من شيء أنكروه عليه من فراقهم وعيب آلهتهم ورأوا أن أبا طالب قد حذب عليه وقام دونه

(١) التوبة: ١٨.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦٤.

فلم يسلمه لهم مشى رجال من أشرف قريش إلى أبي طالب... فقالوا يا أبا طالب إن ابن أخيك قد سب آهتنا وعاب ديننا وسفه أحلامنا وضلل آباءنا فإما أن تكفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه... ومضى رسول الله على ما هو عليه يظهر دين الله ويدعو إليه قال ثم سرى الأمر بينه وبينهم حتى تباعد الرجال وتضاغنوا وأكثر قريش ذكر رسول الله بينها وتذا مروا فيه وحض بعضهم بعضا عليه ثم إنهم مشوا إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا يا أبا طالب إن لك سناً وشرافاً ومنزلة فينا وإنا قد استهينناك من ابن أخيك فلم تنهه عنا وإنا والله لا نصبر على هذا من شتم آباءنا وتسفيه أحلامنا وعيب آهتنا حتى تكفه عنا أو ننازله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين»^(١)!

وبعد أن يئس الكفار من أن يمنعوا رسول الله صلى الله عليه وآله من الجهر بسب آهتهم وتسفيه أحلامهم حاولوا محاولة أخرى وعرضوا عليه أن يكف عن سب آهتهم وسيتركونه يتعبد لله ويدعو لدينه كيف يشاء ولكن رسول الله صلى الله عليه وآله لم يقبل بهذا العرض القرشي وواصل مسيرة الجهر بالبراءة!

روى الطبري: «أن ناساً من قريش اجتمعوا فقال بعضهم لبعض انطلقوا بنا إلى أبي طالب فنكلمه فيه - أي في النبي محمد صلى الله عليه وآله - فلينصفنا منه فيأمره فليكف عن شتم آهتنا وندعه وإلهه الذي يعبد... فلما دخلوا عليه قالوا يا أبا طالب أنت كبيرنا وسيدنا فأنصفنا من ابن أخيك فمره فليكف عن شتم آهتنا وندعه وإلهه»^(٢)!

(١) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦٥.

(٢) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٦٥.

فلما عرض أبو طالب عليه السلام مطالب قريش على رسول الله صلى الله عليه وآله فأجابته: «يا عم و الله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته»^(١).

فتلاحظ شيخنا إصرار النبي صلى الله عليه وآله على إظهار البراءة من آلهة الكفار جهاراً نهاراً ولم يمنعه الترغيب والترهيب القرشي!

إنّ منهج إظهار البراءة هو منهج وسلوك الأنبياء والأوصياء عليهم السلام فلو راجع الشيخ فوزي هداة الله كيف تعامل الأنبياء والأوصياء عليهم السلام مع رموز الباطل لاكتشف أية خديعة وقع الشيعة فيها حين قيل لهم: احترموا رموز المخالفين!

ألم يكسر النبي إبراهيم عليه السلام أقدس مقدّسات قومه وقد أمر الله تعالى بالتأسي به في ذلك حين قال: «قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ! وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ»^(٢). فتأمل في هذه اللهجة الشديدة!

ألم يكن أبو لهب لعنه الله رمزاً من رموز قريش وبني هاشم؟ ومع ذلك أنزل الله تعالى فيه: «تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ»!

ألم يكن عمرو بن هشام رمزاً من رموز قريش وبني مخزوم؟ ومع ذلك كناه النبي صلى الله عليه وآله بما يحقره (أبو جهل)!

(١) السيرة النبوية لابن كثير، ج ١، ص ٤٧٤.

(٢) المتتحة: ٥.

ألم يكن الأبحار في زمن النبي صلى الله عليه وآله هم كبار رموز اليهود؟ ومع ذلك أنزل الله تعالى فيهم: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا»^(١).

فكذلك كان أبو بكر وعمر وأبو عبيدة بن الجراح هم كبار رموز خط السقيفة ومع ذلك وقف أمير المؤمنين عليه السلام في وجوههم قائلاً: «أيتها الغدرة الفجرة! والنطفة القذرة المدرة! والبهيمة السائمة»^(٢)!

وكذلك كان طلحة والزبير وعائشة من كبار رموز أهل الخلاف، ومع ذلك حين جاء قوم منهم من أهل البصرة إلى الإمام الصادق عليه السلام وسألوه: «ما تقول في حرب علي وطلحة والزبير وعائشة؟ قال عليه السلام: ما تريدون بذلك؟ قالوا: نريد أن نعلم ذلك. قال عليه السلام: إذن تكفرون يا أهل البصرة! عائشة عظيم إثمها! ما أهرقت محجمة من دم إلا وإثم ذلك في عنقها وعنق صاحبها! قالوا: إنك جئتنا بأمر عظيم لا نحتمله! قال عليه السلام: وما طويت عنكم أكثر! أما إنكم سترجعون إلى أصحابكم وتخبرونهم بما أخبرتكم فتكفرون أعظم من كفرهم»^(٣)!

وقال الصادق عليه السلام أيضاً: «دخل عليّ أناس من أهل البصرة فسألوني عن طلحة والزبير؟ فقلت لهم: كانا إمامين من أئمة الكفر»^(٤)!

(١) الجمعة: ٦.

(٢) مستدركات نهج البلاغة، ج ١، ص ٢٨٤، عن كشف اللثالي لابن العرندس.

(٣) دلائل الإمامة للطبري، ١٢٠ - ١٢١.

(٤) مستدرک الوسائل، ج ١١، ص ٦٣، عن تفسير العياشي.

جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال له: «ابسط يدك أبياعك. قال عليه السلام: على ماذا؟ قال: على ما عمل أبو بكر وعمر. فمدّ عليه السلام يده وقال له: اصفق! لعن الله الإثنين! والله لكأني بك قد قتلتَ على ضلال»^(١)!

سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن أبي بكر وعمر فقال: «والله هما أول من ظلمنا حقنا وحملا الناس على رقابنا وجلسا مجلساً نحن أولى به منهما، فلا غفر الله لهما ذلك الذنب، كافرين! ومن يتولهما كافر». قال راوي الخبر عبد الله بن كثير: «وكان معنا في المجلس رجل من أهل خراسان - من المخالفين - يكنى بأبي عبد الله، فتغيّر لون الخراساني لما أن ذكرهما. فقال له الصادق: لعلك ورعتَ عن بعض ما قلنا؟ قال: قد كان ذلك يا سيدي. قال: فهلاً كان هذا الورع ليلة نهر بلخ حيث أعطاك فلان بن فلان جاريتَه لتببعها فلما عبرت النهر فجرت بها في أصل شجرة كذا وكذا! قال: قد كان ذلك، ولقد أتى على هذا الحديث أربعون سنة ولقد تبتّ إلى الله منه. قال: يتوب عليك إن شاء الله»^(٢).

إلى غيرها من شواهد كثيرة لا يتسع المجال لذكرها وهي تدل على أن (رمز الكفر) و(رمز النفاق) و(رمز الضلالة) لا حرمة له أو حصانة لمجرد أن له أتباعاً وجمهوراً. عن جعفر بن محمد، عن أبيه عليهما السلام قال: «ثلاثة ليس لهم حرمة، صاحب هوى مبتدع، والإمام الجائر، والفاسق المعلن بالفسق»^(٣).

(١) بصائر الدرجات للصفار، ص ٤١٢.

(٢) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب، ج ٣، ص ٣٧٠.

(٣) وسائل الشيعة للحر العاملي، ج ١٢، ص ٢٨٩.

فالإسلام إنما ينظر إلى المبتدع والفاسق والإمام الجائر بما هو هو لا إلى أتباعه وجهوره، فعلى هؤلاء المخدوعين أن يسمعوا ذمّ هذا الرمز وثلبه والنيكير عليه بما يؤدي إلى انكشاف حقيقته أمامهم.

يقول المجدد الشيرازي الثاني أعلى الله مقامه: «يجب القضاء على أئمة الضلال كما فعل - الإمام علي- عليه السلام فإن (ينكث الهام) أي يضرب الرؤوس أي (رؤوس أئمة الضلال وقادتهم) حتى ينفصل الأتباع عنهم، فيتمكنوا من تقرير مصير أنفسهم بأنفسهم، فيتركوا وشأنهم -أي من دون ارتباط بقيادة الضلال- ليختاروا ما هو مقتضى عقولهم وفطرتهم. إضافة إلى أن ضرب الرؤوس مما يوجب تفكك الترابط بين أجزاء جيش الضلال والظلام، فيكون أدمى لانهزام الأذئاب وأسرع في القضاء على الجمع»^(١).

ويقول أيضاً: «وفي ذكرها- الزهراء- عليها السلام: «يكسر الأصنام وينكث الهام) نكتة لطيفة وهي ان القضاء على الأديان والمذاهب الباطلة يتم بركنين: أحدهما: القضاء على (الرمز المقدس) و(المحور والقطب) الذي تدور عليه رحي معتقداتهم وأفكارهم. والثاني: القضاء على حملة تلك الراية وعلى الدعاة إليها»^(٢).

ولا يمكن تعطيل هذه الوظيفة لمجرد أن فئة من البشر تؤمن بهذه الرموز، فهذا معناه احترام حتى (إبليس)؛ لأن هناك فئة من البشر تعبدوه وهم (عبدة الشيطان) فهل يقول بهذا عاقل؟! وهناك طائفة أخرى تحترمه وتعتبره ولياً صالحاً وهي الطائفة اليزيدية فهل نحترمه من أجلهم؟

(١) من فقه الزهراء للسيد محمد الشيرازي، ج٣، ص٣٩.

(٢) المصدر السابق.

وهناك الكثير من البشر يجترمون الطاغية صدام ويعتبرونه شهيداً! فهل نحترمه من أجلهم؟! أو نتوقف عن ثلبيه؛ لأن ذلك يغضبهم ويجرح مشاعرهم!؟

■ هل هذا المنهج صنيعة أموية؟

إن منهج النيل من رموز الكفر والنفاق والضلالة هو منهج قرآني نبوي قائم على الدليل والبرهان من السنة والقرآن، وليس صناعة أموية كما يحاول الشيخ السيف تصويره! فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وآله بإظهار البراءة بسبِّ ولعن أهل الرِّيب والبدع فقال صلى الله عليه وآله: «إذا رأيتم أهل الرِّيب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقية، وباهتوهم كي لا يطمعوا في الفساد في الإسلام ويحذرهم الناس ولا يتعلمون من بدعهم، يكتب الله لكم بذلك الحسنات ويرفع لكم به الدرجات في الآخرة».

فهل ستقول عن رسول الله صلى الله عليه وآله -والعياذ بالله- يدعو إلى المنهج الأموي؟! لأنه يأمرنا لا بالسبِّ فحسب بل بكثرة السب حيث قال صلى الله عليه وآله: «وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقية»^(١)!

(١) وهذا الحديث صحيح أجمع علماءنا الأبرار على صحته راجع المصادر التالية: مسالك الأفهام للشهيد الثاني، ج١٤، ص٤٣٤، ومجمع الفائدة للمحقق الأردبيلي، ج١٣، ص١٦٦، وكفاية الأحكام للمحقق السبزواري، ج١، ص٤٣٧، والتحفة السننية للسيد عبد الله الجزائري، ص٣١، والحدائق الناضرة للمحقق البحراني، ج١٨، ص١٦٤، ومستند الشيعة للمحقق النراقي، ج١٤، ص١٦٤، وفقه الصادق للسيد محمد صادق الروحاني، ج١٤، ص٢٩٧، ومصباح المنهاج للسيد محمد سعيد الحكيم، ص٣٦٥، وموسوعة أحداث أهل البيت للشيخ هادي النجفي، ج٢، ص٢٦، ومجمع البحرين للشيخ الطريحي، ج٣، ص٣٤٣، ومكيال المكارم لمحمد تقي الأصفهاني، ج٢، ص٢٦، ومنهاج البراعة في شرح نهج البلاغة لحبيب الله الخوثي، ج١٣، ص٨٦، ومصباح الفقاهة للسيد الخوثي، ج١، ص٥٤٩، ومراة العقول في شرح أخبار آل الرسول للعلامة المجلسي، ج١١، ص٧٧.

إنَّ من أعظم الظلم الذي وقع على هذه الأمة هو تحريف الدين، ولذلك استحق أهل الرِّيب والبدع وعلى رأسهم رموز النفاق والتحريف الأوائل المجاهرة بلعنهم وسبهم كما أمر الحديث النبوي الشريف.

جاء في كتاب صراط النجاة السؤال المرقم برقم ١٢٤٦: «هل يجوز سب أهل البدع والريب ومباهنتهم والوقية فيهم؟ فأجاب السيد الخوئي: إذا ترتب ردع منكر على تلك، فلا بأس. ووافقه على هذا الحكم الميرزا جواد التبريزي قدس سره»^(١).

ويقول المحقق الكركي رضوان الله تعالى عليه: «من كان عدواً لأهل البيت عليهم السلام، فلا حرج في ذكر معايهم وقبائحهم، والقدح في أنسابهم وأعراضهم، بما هو صحيح مطابق للواقع، تصریحاً وتعريضاً، كما وقع من أمير المؤمنين عليه السلام، وما صدر من أبي محمد الحسن صلوات الله عليه في مجلس معاوية لعنه الله في ذكره لمعايبه ومعايب عمرو بن العاص والوليد بن المغيرة وأمثالهم، عليهم أجمعين من اللعن ما لا يحصى إلى يوم الدين. ولا حرج في تكرار ذلك والإكثار منه في المجالس لتنفير الناس منهم، وتطهير قلوب الخلق من الاعتقاد فيهم والموالة لهم، بحيث يبرؤن منهم. وكذا لعنهم والطعن فيهم على مرور الأوقات مع مجانبة الكذب. ومن تأمل كلام سيدنا أمير المؤمنين صلوات الله عليه في نهج البلاغة وجده مشحوناً بذلك»^(٢).

(١) بحث حول السب الشيخ علي الجزيري الأحساني، ص٧، نقلاً عن صراط النجاة للميرزا جواد التبريزي، ج١، ص٤٤٧، ومصباح الفقاهة

للسيد الخوئي، ج١، ص٥٤٩.

(٢) رسائل المحقق الكركي، ج٢، ص٤٦.

أما من ناحية أظهار هذا السب واللعن يقول المرجع السيد صادق الشيرازي دام ظله: «يجب إظهار الموالاتة لله وللأنبياء والأئمة وفاطمة الزهراء عليها السلام وهكذا يجب إظهار معاداة أعداء الله وأعداء الأنبياء وأعداء الأئمة وأعداء فاطمة الزهراء عليها السلام»^(١).

ويقول أيضاً: «إظهار الحب والبغض وهما التولي والتبري. إن صيغة (تكسب) و(تصدي) و(تعلم) وأمثالها كلها تدل على أن مادة تفعل ترتبط بالأمور التي تظهر في الخارج كعمل وسلوك فإذا لم يتم إظهار التولي والتبري فليس في الواقع لا تولي ولا تبري»^(٢).

فالأصل إذاً هو الإظهار لا الكتمان فمن لم يظهر التولي والتبري، فليس عنده في الواقع لا تولي ولا تبري وهذه الوظيفة لا تتعطل إلا في حالة التقية الشديدة، أي أن يكون المؤمن مقهوراً مجبوراً لا يتمكن من الجهر بالحق وفضح الرموز المنحرفة^(٣).

بل أن بعض أصحاب الأئمة عليهم السلام وبعض العلماء الأبرار جهروا بالبراءة من الرموز المنحرفة وأدى ذلك إلى استشهادهم وعلى سبيل المثال سيدنا قيس بن مسهر الصيدائوي رضوان الله تعالى عليه حيث أمره عبيد الله بن زياد أن يلعن الإمام الحسين وأباه وأخاه! فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وآله وأكثر من الترحم على علي وولده صلوات الله عليهم، ثم لعن عبيد الله بن زياد وأباه، ولعن عتاة بني أمية عن آخرهم.. فأخبر ابن زياد بذلك فأمر بإلقائه من أعلى القصر فألقي من هناك فهاجمه الله^(٤).

(١) المسائل الإسلامية السيد صادق الشيرازي، ص ٣٨٥، المسألة رقم ٢٣١٥.

(٢) الغدير الثاني وأعمال عيد الغدير السيد صادق الشيرازي، ص ١٨.

(٣) قال الإمام الصادق عليه السلام: «للتقية مواضع، من أزالها عن مواضعها لم تستقم له، وتفسير ما يُتقى مثل أن يكون قوم سوء ظاهر حكمهم وفعالهم على غير حكم الحق وفعله، فكل شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية مما لا يؤدي إلى الفساد في الدين فإنه جائز». (الكافي الكليني للشيخ الكليني، ج ٢، ص ١٦٨).

(٤) الملهوف على قتل الطفوف لابن طاووس، ص ١٣٦.

وكذلك جهر بالبراءة سيدنا حُكَيْم بن جبلة العبدى رضوان الله عليه حيث سب عائشة علناً في البصرة واستشهد في الجمل الأصغر وأثنى عليه أمير المؤمنين عليه السلام حينما وصل له نبأ استشهاده فقال عليه السلام^(١):

يا لهف أُمّاه على ربّعة ** ربّعة السامعة المطيعة
 قد سبقتني بهم الواقعة ** دعا حكيم دعوة سمّعة

نال بها المنزلة الرفيعة

■ بين مشروعية السب وتحريمه:

إنّ لعن وسب الظالمين وفضحهم وكشف سوءاتهم من أبرز مصاديق (إظهار البراءة)، وإنّ المنهي عنه من السب هو سب المؤمن -غير المعلن للفسق-؛ لذلك ورد في الحديث عن أبي جعفر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية»^(٢).

فسب المؤمن فسوق، أما سب المنحرفين والظالمين والمنافقين والكفّار والمبتدعة جائز بل مندوب، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يأمر به وبهذا صرّح حسان ابن ثابت في قوله:

لنا في كلّ يومٍ من معدٍّ
 سبابٌ أو قتالٌ أو هجاءٌ

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص٤٨٣، وتاريخ ابن الأثير، ج٣، ص٢١٥.

(٢) المحاسن لأحمد بن محمد بن خالد البرقي، ج١، ص١٠٢.

والسب واللعن - للظالمين والمنحرفين والمبتدعة - هو من صميم تعاليم أهل البيت عليهم السلام، فقد روى المجلسي في بحار الأنوار عن الإمام الباقر عليه السلام قال للكमित - الكमित الشاعر المعروف - قال له: «نحن معاشر بني هاشم نأمر كبارنا وصغارنا بسبهما - أي أبو بكر وعمر - والبراءة منهما»^(١).

وروى أبو الصلاح الحلبي عن محمد بن الفرات قال: حدثني فاطمة الحنفية عن فاطمة ابنة الحسين عليه السلام: «أنها كانت تبغض أبا بكر وعمر وتسيبهما»^(٢).

وروى الشيخ الطوسي رضوان الله تعالى عليه في كتابه التهذيب عن الحسين ابن ثوير وأبي سلمة السراج قالوا: «سمعنا أبا عبد الله عليه السلام وهو يلعن في دبر كل مكتوبة أربعة من الرجال وأربعاً من النساء، أبو بكر وعمر وعثمان ومعاوية وعائشة وحفصة وهند آكالة الأكباد وأم الحكم أخت معاوية»^(٣).

وللتمييز بين سب المستحق وغير المستحق أذكر لكم ما جاء في كتاب الجمل للشيخ المفيد رضوان الله عليه حيث قال: «لما حضر الوليد لإقامة الحد عليه أخذ عثمان السوط فألقاه إلى من حضر من الصحابة وقال وهو مغضب من شاء منكم فليقم الحد على أخي فأحجم القوم عن ذلك فنهض أمير المؤمنين عليه السلام ويده السوط إلى الوليد فلما رآه الوليد يقصد نحوه ليضربه نهض من موضعه لينصرف فبادر إليه فقبضه وشتمه الوليد فسيبه أمير المؤمنين عليه السلام بما كان أهله وتعتته حتى أثبت إقامة الحد عليه فاستشاط عثمان من ذلك وقال له ليس

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج٧، ص٤٧٣.

(٢) تقريب المعارف لأبي الصلاح الحلبي، تحقيق فارس الحسون، ص٢٥٤.

(٣) تهذيب الأحكام للشيخ الطوسي، ج٢، ص٣٢١.

لك أن تتعته يا علي ولا لك أن تسبه فقال له عليه السلام: «بل لي أن أقهره على الصبر على الحد وما سببته إلا لما سبني بباطل وقلت فيه حقاً»^(١).

فهنا قد بيّن مولانا أمير المؤمنين عليه السلام أن سب الوليد الفاسق حق ومشروع فقال صلوات الله عليه: «وما سببته إلا لما سبني بباطل وقلت فيه حقاً».

وأمير المؤمنين عليه السلام الذي سب الوليد الفاسق هنا هو نفسه الذي عفا عن ذلك الجاهل الخارجي الذي سبه!

فقد روي أنه عليه السلام كان جالساً في أصحابه... فقال رجل من الخوارج: «قاتله الله كافراً ما أفقته؟ فوثب القوم ليقتلوه فقال عليه السلام: رويداً إنّها هو سبّ بسبّ أو عفو عن ذنب»^(٢).

فمن هنا تعرف أن أقسام الشتم والسب ليست جميعها محكومة بحكم واحد في الشريعة الإسلامية، بل يختلف حكم بعض أقسامه عن البعض الآخر وأن منه ما هو محرّم في الشرع، ومنه ما هو مباح، بل منه ما هو مستحب، بل ما هو واجب^(٣).

■ السب والشتم من مصاديق السوء من القول:

لا أظن أن الشيخ فوزي يختلف معنا في كون السب والشتم من مصاديق السوء من القول فقد فسّر السوء من القول عن المعصوم عليه السلام بأنه الشتم.

(١) الجمل للشيخ المفيد، ص ١٧٩.

(٢) نهج البلاغة.

(٣) راجع بحث الشيخ علي الجزيري الأحسائي حول السب.

ففي مجمع البيان جاء في تفسير قوله تعالى: «لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا». «قيل في معناه أقوال أحدها، لا يجب الله الشتم في الانتصار إلا من ظلم فلا بأس له أن ينتصر ممن ظلمه بما يجوز الانتصار به في الدين وهو المروي عن أبي جعفر عليه السلام»^(١).

إن الله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة لم يبيح السوء من القول فحسب، وإنما أعرب عن حبه لمن يجهر بالسوء من القول إذا كان مظلوماً؛ فأداة الاستثناء هنا «إِلَّا مَنْ ظَلِمَ» ترخص للمظلوم الجهر بالسوء من القول في حق ظالمه.

إن كف الظالم عن ظلمه لا يتأتى إلا بمثل هذا الجهر بالسوء من القول في وجهه، فينكشف حال هذا الظالم ويظهر ظلمه، ويتباعد عنه أو يردع. هكذا إذا عرفنا أن النيل ولو بمثل السباب وسوء القول؛ كالذم والتحقير والإهانة لهذه الرموز المنحرفة هو أدب قرآني ونبوي ورائه حكمة شرعية عظيمة ومهمة لصالح البشرية، وهذه الحكمة تتمثل بإسقاط رمز الظلم والفساد والباطل اسقاطاً اجتماعياً يقي المجتمع من التعاطي مع هذا الرمز فيسلم الدين وتسلم الدنيا»^(٢).

وهنا تتجلى لك واحدة من أساليب الإعجاز البلاغي في القرآن الحكيم فلاحظ أن قوله تعالى: «بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ»^(٣). هو تعبير لا يضع حداً أو سقفاً معيناً لنوعية الألفاظ السيئة التي يرخّص الله تعالى للمظلوم الجهر بها في حق ظالمه.

(١) مجمع البيان للطبرسي، ج ٣، ص ٢٢٥.

(٢) راجع كتاب تحرير الإنسان الشيعي للشيخ الحبيب، ص ١٣٣.

(٣) النساء: ١٤٩.

السوء من القول أي الكلام الذي يستاء منه الآخرون، وقسم مما يسوءهم ينفرهم؛ لذا فإنّ السوء من القول تعبير يشمل حتى الألفاظ التي يستهجنها المجتمع ويستاء منها. فهل ستقول أنّ الأسلوب القرآني غير صحيح -والعياذ بالله- لمجرد نفور المعاندين من آياته؟!

قال تعالى: «وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا»^(١).

من استحب العمى على الهدى لا شك ينفر من قول الحق في رموزه؛ لأنه لا يريد سوى أن يسمع ما يريد هو سماعه من تعظيم، لذلك لا فرق عنده في درجة ومستوى حديّة النيل، وإنما هو يرفض أي نيل من رمزه ولو تعرضت له بخدشة؛ لذلك تجد الوسم الذي يسم به المخالفون التيار البرائي -سبب الصحابة- هو ذاته يسم به المخالفون كل الشيعة، وليس الشيخ فوزي بمسئني عندهم، والفرق فقط في أنكم تعتبرونا مصداقاً بارزاً واقعياً لذلك الوصف ونفخر بذلك طبعاً بينما أنتم لم تبلغوا ذلك الشرف ومنحكّم المخالفون إياه بلا استحقاق!

■ السوء من القول عند المخالفين:

العجيب أنّ المخالفين يقولون بأنّ المقصود من قوله تعالى: «بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ». هو وصف فعل الظالم فقط!

هل كلمة الحق سوءٌ من القول؟!

عندما تقول فلان قتل أو سرق أو فعل كذا وقال كذا وأنت تحكي واقعاً وتخبّر عن حقيقة فهل هذا يكون سوءاً من القول أم هذا قول حق؟!

إن المظلوم حين يسب ظالمه ويعريه ويفضحه لا يُلام فتلك حالة طبيعية فطرية والدين لا يقهر الفطرة إن كانت موجهة في الاتجاه الصحيح، ففي الغرب مثلاً يهاجم السياسة الفاسدون بأقذع الألفاظ، ولا أحد هناك يُجرّم فعل من يهاجمون ويشتمون أولئك السياسة بل إن أقصى ما يُقال في حقهم أنهم يعبرون عن غضبهم، وفي الحقيقة إن الغرب مع بالغ الأسف يطبق تعاليم الإسلام التي تتماشى مع الفطرة السوية فيعطي من يشعر بالغبين والظلم الحق في التعبير عن نقمته تجاه الظالم المفسد وإسقاط شخصيته واعتباره وسحق كرامته.

فالغربي المنصف إن فهم فلسفة سب الظالمين وأهل الريب والبدع والمنحرفين في الإسلام فلن يسعه سوى الإذعان لحقيقة سبق الإسلام في ميدان حرية التعبير الحضارية الهادفة.

■ ماذا عن قول أكره لكم أن تكونوا سبائين؟

فإن قلت: قد ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام قوله: «إني أكره لكم أن تكونوا سبائين»؟! قلنا: إن هذه الرواية قد جاءتنا من طرق العامة لا من طرقنا، ولو سلمنا بصدورها؛ فإن المقصود كثرة السب للضال الجاهل كجهّال أهل الشام لا رموز الضلال كما بينا ذلك سابقاً، أيضاً كان ظاهر كلام أمير المؤمنين عليه السلام الكراهة لا النهي المطلق، ثم إن المخالفين اعتبروا نهج البلاغة كتاب سباب وشتائم والحط على أبي بكر وعمر وهذا قول أحد أكابر علماء المخالفين وهو الذهبي^(١).

وفي معركة الجمل لم يمنع أمير المؤمنين عليه السلام أصحابه من سب رموزهم، فقد كانوا يقولون لأصحاب الجمل كما رواه شيخنا المفيد رضوان الله عليه^(٢):

(١) ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٥، ص ١٥٢.

(٢) الجمل للشيخ المفيد، ص ٣٣٥.

وليكم عجل بني أمية

وأكم خاسرة شقية

هاوية في فتنة عمية

فكما تلاحظ شيخنا فقد وصفوا عثمان بالعجل ووصفوا عائشة بالشقية الخاسرة! ولم يعترض عليهم أمير المؤمنين عليه السلام بالقول: «إني أكره لكم أن تكونوا سبائين»؟! بل حتى في معركة صفين نفسها حينما قال أمير المؤمنين عليه السلام -على فرض صدوره-: «إني أكره لكم أن تكونوا سبائين»، كان من جهة أخرى يقنت بلعن معاوية وأصحابه، فقد روى الطبري ضمن ما جرى بعد قضية التحكيم، قال: «وانصرف أهل الشام إلى معاوية فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه ورجع ابن عباس إلى علي بالخبر، فكان علي إذا صلى الغداة - أي الفجر- قنت فقال: اللهم العن معاوية وعمراً، وأبا الأعور، وحبيب ابن مسلم، وعبد الرحمن ابن خالد ابن الوليد والضحاك ابن قيس والوليد ابن عقبة»^(١).

فكما تلاحظ شيخنا بأن النهي عن سب ولعن جهال الشام لا يعني النهي عن لعن وسب رموزهم كمعاوية وعمرو بن العاص وغيرهم.

■ المرجع التبريزي مفسراً:

يقول المرجع الراحل الميرزا جواد التبريزي أعلى الله مقامه: «قد يقال إن ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام من قوله: «إني أكره لكم أن تكونوا سبائين» دال على حرمة اللعن والسب. فنقول: إن هذه المقالة ناشئة عن عدم التأمل وذلك: أولاً: إن كلمة «أكره» لا تدل على الحرمة الاصطلاحية إلاّ مع القرينة وهي مفقودة. وثانياً: إن الحكم متوجه للمخاطبين

(١) تاريخ الطبري، ج ٢، ص ٥٢.

الذين قال لهم «لكم» ولا يجرز شموله لجميع المسلمين لاحتمال خصوصية للأفراد المقاتلين معه، بلحاظ أن مقام القتال والحرب على العدو يقتضي الابتعاد عن المواجهة الكلامية والتوجه لما هو أهم وأجدى في تلك الحال. وثالثاً: إن مصب الكراهة هو السبب، وفرق بين السبب والسبب بلحاظ أن الكلمة الأولى صيغة مبالغة مفادها كثرة السبب، ومن الواضح أن كراهة كثرة السبب لا تستلزم كراهة السبب في نفسه. ورابعاً: إن النهي في الرواية نهي إرشادي لا مولوي، بقريته ما في ذيلها: «فلو وصفتهم أفعالهم وذكرتم أفعالهم لكان ذلك أصوب في القول وأبلغ في العذر» مما يعني أن مضمون الرواية الإرشاد إلى أهمية وصف الحال من السبب في التأثير على نفوس الطرف الآخر لا أن مفادها تحريم السبب أو بيان مرجوحيته. وخامساً: إن هناك فرقاً لغوياً وعرفياً واضحاً بين السبب واللعن، فالسبب هو التعريض بالشرف والعرض بينما اللعن دعاء بطلب الطرد من رحمة الله، فالنهي عن الأول لا يستلزم النهي عن الثاني، وبذلك يتضح عدم صحة الاستدلال على مرجوحية اللعن بما ورد في المنصوص من ذم الفحاش البذيء اللسان فإن الفحش والبذاءة وسوء القول من مصاديق السبب، والنهي عن السبب بتمام مصاديقه لا يستلزم النهي عن اللعن. مضافاً لإمكان الجمع العرفي بين النصوص الدالة على رجحان اللعن من القرآن والسنة والنصوص التي يشتم منها النهي، بالفرق بحسب المتعلق، وأن المنهي عنه هو لعن المؤمنين والنيل منهم وأن الراجح المطلوب هو لعن الظالمين، خصوصاً ظالمي أهل البيت عليهم السلام»^(١).

■ نقاط جوهرية:

نضيف إلى ما ذكره آية الله التبريزي ثلاث نقاط جوهرية نبينها:

(١) زيارة عاشوراء فوق الشبهات للميرزا جواد التبريزي، ص ٨-٩.

أولاً: إن هذه رواية عامية واردة من طرق المخالفين^(١) فلا حجية فيها علينا في قبال الروايات المعتبرة الصحيحة الواردة من طرقنا كرواية: «إذا رأيتم أهل الريب والبدع من بعدي فأظهروا البراءة منهم وأكثروا من سبهم والقول فيهم والوقعة...»^(٢). فهنا أمرٌ من رسول الله صلى الله عليه وآله ليس بالسب فحسب بل الإكثار من السب في حق أهل الريب والبدع. وكذلك ما ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام في نهج البلاغة في وصفه لأهل الشام حيث قال: «جفاة طغام، وعبيد أقزام جمعوا من كل أوب، وتلقطوا من كل شوب»^(٣).
 بيان: «جفاة: غلاظ في العشرة. وطغام: أوغاد في الدناءة والحقارة. وأقزام: أرادل في اللؤم والخساسة»^(٤).

وهذه الرواية أصح من تلك الواردة من طرق العامة، وقد نال أمير المؤمنين عليه السلام من أهل الشام أشد النيل فوصفهم بالأوغاد والحقراء والأرذال في اللؤم والخساسة!
 ثانياً: إنَّ السب في اللغة هو القطع ومن هنا سميت الكلمة الجارحة سباً؛ لأنها موجعة جارحة قاطعة كحد السيف حيث يُطلق على السيف «سبَّاب العراقيب»؛ فإن علمت هذا فاعلم أنَّ هذه العبارة لا تنسجم والبلاغة المعهودة عن أمير المؤمنين عليه السلام: «إني أكره لكم أن تكونوا سبَّابين، ولكن لو وصفتم أفعالهم وذكرتم حالهم لكان أصوب في القول وأبلغ في العذر»، فلا فرق بين سبهم ووصف حالهم الدنيئة وأفعالهم القبيحة! فإن قالوا لهم أنتم منحرفون ظلمة مارقون! هل سيعتبر أهل الشام هذا مدحاً؟ هذا سب في اللغة.

(١) راجع كتاب مصادر نهج البلاغة لعبد الله نعمة، ص ٢١٦.

(٢) الكافي الشريف للشيخ الكليني، ج ٢، ص ٣٧٥.

(٣) نهج البلاغة.

(٤) في ظلال نهج البلاغة لمحمد جواد مغنية، ج ٣، ص ٣٦١.

إن الله سبحانه وتعالى حينما وصف حال أحبار اليهود فقال: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا»^(١)! إن هذا الوصف هو إهانة لهم وليس من يهودي لا يعتبره سباً! فسواءً كانت الكلمة الجارحة الموجهة منطبقة على صاحبها انطباقاً واقعياً كلياً أو كانت من قبيل الشتم بالفاظ تحقيرية لها انطباق نفسي أو شخصي كوصف علماء اليهود بالحمير فهذا كله سب وهو مشروع جائز في حق الظلمة من أهل الريب والبدع وغيرهم.

ثالثاً: تبين مما سبق أن السب للمستحق جائز بل مندوب، وإن سب ولعن المنحرفين والظلمة هو سلوك إنساني نابع من الفطرة لذا جاءت الشريعة الغراء موافقة له.

وقد تقدّم البيان في كون (السب والشتم) من مصاديق (السوء من القول) فالله سبحانه وتعالى يجب ذلك إن كان من المظلوم في حق ظالمه.

قال تعالى: «لَا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوِّءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا»^(٢).

ولا شك أنك شهدت الأحداث التي جرت على الساحة البحرانية، وشاهدت ما تعرّض له هذا الشعب المظلوم من قتل همجي وحشي على يد القوات المعتدية الغاشمة، وقد سمعت مقاطع الفيديو وغيرها المنتشرة على مواقع التواصل كثيراً من الألفاظ المستهجنة القبيحة في عرفنا، وقد كانت تصدر من بعض المتضررين المظلومين، ولكن لا أحد منا يتمكن أن يصف هؤلاء بأنهم بذيئون بل نعذرهم، ونقم على ظالمهم ونعتبر تلك الأوصاف التي يطلقها هؤلاء المظلومون في حق أولئك المجرمين الظالمين أقل ما يستحقون.

تلك هي فطرة الإنسان المظلوم يضح ويصرخ ويشتم ظالمه ويفضح الدين لا يعاكس الفطرة فتنبه لهذه النقطة جيداً يا شيخنا العزيز.

(١) الجمعة: ٦.

(٢) النساء: ٤٩.

شعوره حين يأتي على ذكر قتلة آل رسول الله وظلمتهم ومن حَرَّفوا دينهم وتلاعبوا به، فهذا خطب لا يدانيه خطب.

إنَّ مشكلة الآخر هي التركيز على الأعراض لا على العلل! عندما تعرف العلة يصبح العرض عندك أمراً طبيعياً عندما ترى عرضاً لعدة بدنية؛ فإنك تستغربه وتهلع منه، ولكن عندما تعرف علته وسببها؛ فإنك تبدأ في التعامل معه بشكل طبيعي وتصرف اهتمامك لعلاج العلة والتخلص منها بدلاً من صرف عمرك في الجزع من الأعراض.

إن آل رسول الله عليهم الصلاة والسلام وكذلك شيعتهم لا يتجنون وعندما يصفون أحدهم بوصف فإنه يكون مستحقاً له.

■ ماذا عن قوله تعالى: «ولا تسبوا»؟

فإن قلت: إن الله هنا عن سب آلهة المشركين في قوله تعالى: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ»^(١).

قلنا: أولاً: أن هذه الآية الكريمة لها ظرفها الخاص، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يجهر بسب آلهة المشركين في بداية الدعوة، واستمر على ذلك وفي يوم فتح مكة حطَّم الأصنام أمام أعين المشركين، ولا شك بأن تحطيمها أشد في نفوسهم عن مجرد سبها، وهذا يعني بأن هناك أمراً طارئاً في وقت معيّن أدى إلى هذا النهي فليس النهي في كل زمان بل له ظرفه الخاص.

ثانياً: إن الله سبحانه وتعالى قال في كتابه: «إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ»^(١). وهذه الآية فيها نيل صريح من الذين يدعون من دون الله، وحينما نزلت هذه الآية غضب المشركون أشد الغضب من نزولها؛ لأنها تطعن في آهتهم، وهذا ما أثبتنا به إمامنا الباقر عليه السلام.

عن علي ابن ابراهيم القمي رضوان الله عليه قال الإمام الباقر عليه السلام: «لما نزلت هذه الآية وجد منها أهل مكة وجداً شديداً»^(٢) فدخل عليهم عبد الله بن الزبيرى وكفار قريش يخوضون في هذه الآية فقال ابن الزبيرى: أحمد تكلم بهذه الآية قالوا نعم، قال ابن الزبيرى: إن اعترف بها لأخصمته»^(٣).

فكما تلاحظ شيخنا بأن الله سبحانه وتعالى نال من المشركين وآهتهم! فكيف ينهانا الله عن النيل من آلهة المشركين ثم من جهة أخرى هو ينال منها بشدة مما أدى إلى غضب أهل مكة؟! وكذلك ما جاء في أحداث معركة أحد بعد أن نشر الكفار شائعة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قد قتل!

فجاء أبو سفيان فقال لأمير المؤمنين: «يا علي إنه قد أنعم علينا. فقال علي عليه السلام: بل الله أنعم علينا. ثم قال -أبو سفيان-: يا علي أسألك باللات والعزى هل قتل محمد؟ فقال له عليه السلام: لعنك الله ولعن اللات والعزى معك، والله ما قتل وهو يسمع كلامك، قال: أنت أصدق، لعن الله ابن قميتة، زعم أنه قتل محمداً»^(٤).

(١) الأنبياء: ٩٩.

(٢) أي غضبوا منها غضب شديداً.

(٣) تفسير القمي، ج ٢، ص ٥٠.

(٤) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٢٠، ص ٥٦.

فكما تلاحظ شيخنا بأن الله سبحانه وتعالى سب آلهة المشركين، وكذلك أمير المؤمنين عليه السلام لعن أبا سفيان ولعن اللات والعزى معه!
 فهل -والعياذ بالله- تقول إن الله يتناقض؟! أو أن أمير المؤمنين عليه السلام -حاشاه- لا يفقه النهي في هذه الآية؟!!

بالقطع واليقين لا يوجد تناقض في القرآن الكريم، وبالقطع واليقين لا يخالف أمير المؤمنين عليه السلام القرآن بل هو مع القرآن والقرآن معه يدور معه حيث ما دار.
 إن ما تقدم من الآية القرآنية التي نالت من آلهة المشركين والرواية التي لعن فيها أمير المؤمنين عليه السلام اللات والعزى تكشف لكم أن الآية الكريمة -«وَلَا تَسُبُّوا»- لها ظرفها الخاص وليست مطلقة وأن النيل من آلهة المشركين جائز ولو أدى ذلك إلى استفزازهم.

ثالثاً: إن المتأمل في الآية الكريمة: «وَلَا تَسُبُّوا» يجد أن هذه الآية تنهى عن مجرد السب فحسب، فلا تنهى عن كشف الحقائق وبيان حال الرمز المقدس عند الطرف الآخر؛ لأن كشف الحقائق بالأدلة والبراهين أجنبي عن الآية الكريمة.

رابعاً: لم تنه الآية الكريمة عن سب رموز الآخرين مطلقاً؛ لأننا نجد القيود في نفس الآية قال تعالى: «وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ». والقيود^(١) هي:
 القيد الأول: نجد أن حرمة السب أو النيل معلقة على إفضاءها لارتداد السب على الله، فكأن الله تعالى يقول يُحَرِّمُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَسُبُّوا الأصنام مادام ذلك يفضي إلى سب الله سبحانه وتعالى، أما إذا لم يكن السب مفضياً لارتداده على الله تعالى أو أوليائه عليهم السلام لا يكون حراماً؛ لأننا لو افترضنا أن امرء يقدر في الطاغية عمر ابن الخطاب لعنة الله عليه، وهو عالم بأن المخالف لن يرد بالقدح في أمير المؤمنين عليه السلام، لكون هذا المخالف معتقداً بأن أمير

(١) راجع كتاب تحرير الإنسان الشيعي للشيخ الحبيب، ص ١٤٣ - ١٤٤.

المؤمنين عليه السلام خليفة رابع، أو أن هذا المخالف لن يرد بالقدح في أحد الأئمة عليهم السلام لكونه لا أقل يعتقد فيهم من جلالته، فإذا هنا لا حرمة للسب أو النيل في هذا الفرض.

القيد الثاني: هو قوله تعالى: «عَدُوًّا». والعدو هنا بمعنى أن الكافر أو المخالف يتجاوز عن حالة سابقة، وهي سكوته عن الله وأوليائه فيكون سب المؤمن لمن يعتقد به هذا الكافر أو المخالف موجباً لعدوه أي تجاوزه عن تلك الحالة السابقة إلى حالة جديدة طارئة يهتك بها حرمة الله جل وعلا وحرمة أوليائه عليهم السلام، فهنا يحرم النيل، ولكن لو افترضنا أن المخالف قد عدا أولاً قبل أن ننال منه أو ممن يعتقد أي كانت حالته السابقة هي هتك حرمة الله تعالى وأوليائه عليهم السلام لا يكون النيل هنا ممن يعتقد بهم المخالف استفزازاً له لأن يعدو؛ لأنه يفعل هذا الأمر وهو هتك حرمة الله تعالى أو أوليائه عليهم السلام سواءً نلنا ممن يعتقد بهم أم لم نفعل، أي نيلنا لا يجعله يبدأ بالنيل لأنه هو البادئ بهذا النيل أصلاً، فإذا لا حرمة في نيلنا في هذا الفرض أيضاً.

القيد الثالث: قوله تعالى: «بِعَدْوٍ عِلْمٍ». أي أن هذا الكافر أو المخالف يكون جاهلاً غير عالم ويعدو بالجهل، والجاهل هنا ليس هو الجاحد أو المعاند، وإنما هو ذاك المخدوع المستضعف الذي تربى على شيء يظن أنه حق وليس بحق، وفي هذه الحالة يحرم النيل أو السب إذا ارتد منه أما إذا كان النيل أو السب المرتد من المخالف أو الكافر الجاحد المعاند لا الجاهل أي أنه أراد النيل مع علمه بحرمة الله تعالى وحرمة أوليائه عليهم السلام، إلا أنه ينال إذا نلنا، وبعبارة أخرى إن نيلنا منه أو ممن يعتقد به يجعله يعدو بعلم وليس بغير علم، فهذا امرؤ غير قابل للهداية، إنما معاند وعدو زاحد فالنيل منه أو ممن يعتقد به لا يشكّل حائلاً لهدايته وإن أدى إلى أن يقابلنا النيل؛ لأنه عالم بالإثم الذي يفعله فلا حرمة لنيلنا في هذا الفرض أيضاً.

وعلى هذا الأمر شاهد في سيرة أمير المؤمنين عليه السلام، فهو الذي بدأ بلعن معاوية لعنه الله وأصحابه فقابله هؤلاء باللعن! فقد روى الطبري في ضمن ما جرى بعد قضية التحكيم، قال: «وانصرف أهل الشام الى معاوية فسلموا عليه بالخلافة وبايعوه ورجع ابن عباس إلى علي بالخبر، فكان علي إذا صَلَّى الغداة -أي الفجر- قنت فقال: اللهم ألعن معاوية وعمراً، وأبا الأعور، وحبيب ابن مسلم، وعبدالرحمن ابن خالد ابن الوليد والضحاك ابن قيس والوليد ابن عقبة، فبلغ ذلك معاوية (لعنة الله عليه) فكان يلعن علياً والحسن والحسين -عليهم السلام- والأشتر وقيس ابن سعد وابن عباس وعبدالله ابن جعفر»^(١).

وفي رواية أخرى لنصر ابن مزاحم يقول: «وكان علي عليه السلام إذا صلى الغداة والمغرب وفرغ من الصلاة يقول: اللهم العن معاوية، وعمرا، وأبا موسى، وحبيب بن مسلمة، والضحاك بن قيس، والوليد بن عقبة، وعبد الرحمن بن خالد بن الوليد فبلغ ذلك معاوية فكان إذا قنت لعن عليا، وابن عباس، وقيس بن سعد، والحسن والحسين»^(٢).

وبهذا يتبين أن الآية الكريمة «وَلَا تَسُبُّوا». لها ظرفها الخاص ولا تنهى عن السب بنحو الإطلاق.

■ وماذا عن الحديث: ما له لعنه الله يعرض بنا؟!!

قد تقول وماذا عن حديث الإمام الصادق عليه السلام حينما قيل له: «يا ابن رسول الله، إنا نرى في المسجد رجلاً يُعلن بسب أعدائكم ويسميهم فقال: ما له -لعنه الله- يعرض بنا»^(٣).

(١) تاريخ الطبري، ج٣، ص١٣٣.

(٢) وقعة صفين لنصر بن مزاحم، ص٥٥٢.

(٣) الاعتقادات للشيخ الصدوق، ص١٠٧.

أقول: عادةً من يعترض علينا بهذا الحديث هم من يتشدقون بضرورة صحة الإسناد لقبول الروايات لكنهم يغضون الطرف حينما يكون الحديث موافقاً لمزاجهم! لذلك لا تجد أحداً منهم يحدثك عن سند هذه الرواية المقطوعة!

ومع قبولنا بالرواية لاحتجاج الشيخ الصدوق بها؛ فإن الروايات الآمرة بسب ولعن أعداء أهل البيت عليهم السلام أصح وأوثق سنداً من هذه الرواية هذا أولاً.

ثانياً: إن هذه الرواية تنصرف على من يتعمد التعرض لأعداء أهل البيت عليهم السلام لأجل ارتداد ذلك على أهل البيت عليهم السلام فهو عدوٌ متلبسٌ بلباس التشيع ويترتب على فعله المفسدة فاستحق اللعن، أو أن اللعن صدر من المعصوم لمورد التقية كما لعن زرارة وغيره من الأبرار.

ثالثاً: إنا وجدنا -وكما تقدّم- أن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد لعنوا وسبوا أعداءهم، وكذلك أصحابهم المقربون وعلماؤنا الأبرار قد لعنوا أعداء أهل البيت جهاراً، ونالوا منهم في خطبهم وحواراتهم، ولم يقل لهم الأئمة عليهم السلام: مالكم تعرّضون بنا؟! بل نال بعضهم المديح والشهادة لهم بالجنة.

بل أن الشيخ الصدوق نفسه - كما سيأتي - قد نال من أبي بكر علناً واصفاً إياه بالكافر! في مجلس ركن الدولة أمام علماء المخالفين^(١)! وهذا كاشفٌ عن أن ما فهمه الشيخ الصدوق رحمه الله من هذه الرواية مختلفٌ تماماً عن ما فهمه خصوصاً.

(١) مناظرة الملك ركن الدولة للصدوق.

■ نظرة مُجتزأة:

قال الشيخ فوزي السيف: «وترى قضية التصعيد والتشنج مو معناه ان الإنسان موالي زايد إلى أهل البيت ليس كذلك تعالوا شوفوا في علمائنا شلون كانت لغتهم؟ شلون كانت مناقشتهم؟ هذا السيد شرف الدين أعلى الله مقامه السيد عبد الحسين هذا العالم المجاهد جاهد الفرنسيين وجاهد التخلف وجاهد التفرق والتمزق وكتب من الكتب في الدفاع عن أهل البيت أروع الكتب. تعال شوف طريقته في المراجعات كيف هي؟ هذا أنا لما اسب واشتم يعني أنا أكثر ولاءً لأهل البيت منه؟ كم من الناس كم من الآلاف كم من عشرات الآلاف كم من مئات الآلاف ممن اهدوا إلى طريق أهل البيت بواسطة المراجعات هذا يفتح القلب هذا محاسن كلامنا هذا بالتي هي أحسن وينتج النتائج المطلوبة»^(١).

أقول: بيّنا سابقاً بأن منهج إظهار البراءة هو منهج المصارحة وكشف الحقائق كما هي وإن ما يثير المخالفين هو استغفالهم بقولكم لهم: «أننا نحترم رموزكم» بينما كتبنا تقول خلاف ذلك!

ثم إن عرض مثالب أعداء أهل البيت وبيان مخازيهم ليس تشنجاً بل هو بيان واقع وكشف حقيقة، وكذلك عرض نصوص وأحاديث أهل البيت عليهم السلام الطاعنة في أعدائهم ليس تشنجاً بل هو عرض لتراث آل محمد وفيه آهاتهم وشكاياتهم تجاه أعدائهم وقد دون علمائنا الأبرار هذه النصوص وروجوها وكانت سبباً في استبصار المخالفين.

(١) المصدر السابق.

أما إذا كان المقصود بالتشنج هنا هو التعصّب لأهل البيت عليهم السلام أو التعصّب للحق فهذا التعصّب ممدوح لا مذموم فقد ورد عن الإمام علي بن الحسين عليها السلام: «لو أن عبداً زنجياً تعصّب لنا أهل البيت لوجب على الناس موازته»^(١).

ورود عن الإمام علي ابن موسى الرضا عليها السلام: «أفضل ما يقدمه العالم من محبينا وموالينا أمامه ليوم فقره وفاقته وذله ومسكنته أن يغيث في الدنيا مسكينا من محبينا من يد ناصب عدو لله ولرسوله، يقوم من قبره والملائكة صفوف من شفير قبره إلى موضع محله من جنان الله، فيحملونه على أجنحتهم يقولون: مرحبا طوباك طوباك يا دافع الكلاب عن الأبرار، ويا أيها المتعصّب للأئمة الأخيار»^(٢).

أما التعصّب المذموم في الأخبار هو أن يحمي قومه أو عشيرته وأصحابه في الظلم والباطل، أو يلح في مذهب باطل أو ملة باطلة لكونه دينه أو دين آبائه أو عشيرته ولا يكون طالباً للحق، بل ينصر ما لا يعلم أنه حق أو باطل، للغلبة على الخصوم أو لإظهار تدربه في العلوم، أو اختار مذهباً ثم ظهر له خطؤه فلا يرجع عنه لثلا ينسب إلى الجهل أو الضلالة، فهذه كلها عصبية باطلة مهلكة، وقريب منه الحمية^(٣).

أما قول الشيخ فوزي: «وترى قضية التصعيد والتشنج مو معناه ان الإنسان موالي زايد إلى أهل البيت ليس كذلك تعالوا شوفوا في علمائنا شلون كانت لغتهم شلون كانت مناقشتهم هذا السيد شرف الدين أعلى الله مقامه...».

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٤٥، ص ٣٦٥.

(٢) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ج ٧، ص ٢٠٨.

(٣) مستدرک سفينة البحار للشاهرودي، ج ٧، ص ٢٥٠.

أقول: إنَّ الشيخ فوزي هداه الله يعاني من نظرة مُجتزأة للمنهج والأسلوب الدعوي فهو يقصره على نمط واحد فقط، ويعتقد أنه يمثل أسلوب كل علمائنا الأبرار ومجمل سيرة أئمتنا الأطهار عليهم السلام.

فإذا كان السيد عبد الحسين شرف الدين استخدم أسلوب سلمان المحمدي^(١) فهناك من استخدم أسلوب أبي ذر الغفاري.

فالشيخ البهائي مثلاً حينما وصل إلى مسامعه قول أحدهم^(٢):

أرضى بسبَّ أبي بكرٍ وعمرا	**	أهوى علياً أمير المؤمنين ولا
بنت النبي رسول الله قد كفرنا	**	ولا أقول وإن لم يعطيا فداً
يوم القيامة من عذرٍ إذا اعتذرا	**	الله أعلم ماذا يأتيان به

فأجابه رحمه الله قائلاً:

يا أيُّها المدعي حبَّ الوصي ولم	**	تسمح بسبَّ أبي بكرٍ ولا عمرا
كذبتَ والله في دعوى محبته	**	تبتَّ يداك ستصلي في غدٍ سقرا
فكيف تهوى أمير المؤمنين وقد	**	أراك في سب من عاداه مفتكرا
فإن تكن صادقاً في ما نطقت به	**	فابراً إلى الله ممن خان أو غدرا
وأنكر النص في خم ويعتبه	**	وقال إن رسول الله قد هجرا
أتيت تبغي قيام العذر في فديك	**	أتحسب الأمر بالتمويه مستترا
إن كان في غضب حق الطهر فاطمة	**	سيقبل العذرُ ممن جاء معتذرا

(١) ولا يعني ذلك أن سيدنا سلمان المحمدي لم يواجه الطغاة بشدة فقد قال لعمر بن الخطاب في مجادلته له: «أشهد أني قد قرأت في بعض كتب الله المنزلة إنك باسمك ونسبك وصفتك باب من أبواب جهنم». (راجع كتاب سليم بن قيس، ص ١٦٠).

(٢) جاء في هامش كتاب النصب والنواصب للشيخ محسن المعلم، ص ١١٥: نسب العلامة الشيخ عباس القمي الأبيات في (الكنى واللقاب، ج ١، ص ٢٦٢ إلى ابن حجر صاحب الصواعق المحرقة ونسبت إلى الكميت، وأن السيد الحميري عاتبه على ذلك فأجابه بأنه قاله تقية من بني أمية وفي مضمون قولني أنها أخذت ما كان يدها فلم يقبل السيد جوابه ثم عقبه بأدلة مقنعة فاعتذر منه الكميت، وقال: أنا تائب مما قلت وأنت يا أبا هاشم أعلم وأفقه منا. (راجع الغدير، ج ٢، ص ٢٧٦).

فكل ذنب له عذر غداة غدٍ ** وكُلُّ ظلمٍ ترى في الحشر مغتفرا
 فلا تقولوا لمن أيامه صُرِفَتْ ** في سب شيخكم قد ضلَّ أو كفر
 بل ساعهوه وقولوا لا تؤاخذهُ ** عسى يكون له عذرٌ إذا اعتذرا
 فكيف والعذرُ مثلُ الشمس إذ بزغت ** والأمرُ متضحٌ كالصبحٍ إذ ظهر
 لكنَّ إبليس أغواكم وصيركم ** عمياً وصماً فلا سمعاً ولا بصراً

فكما تلاحظ شيخنا اللغة الشديدة التي استخدمها الشيخ البهائي رحمه الله فهل تستطيع وصفه بما وصفت به التيار الرافضي؟

وهناك نماذج كثيرة من علمائنا فاقراً مثلاً سيرة أبي هلال الثقفي صاحب الغارات، وهو من علمائنا الأبرار فقد سأل هذا العالم عن أكثر البلاد نصباً لأهل البيت عليهم السلام فقالوا له أصفهان، فقال: «لن أحدث بأحاديث المثالب إلا في أصفهان»! فذهب إلى هناك وحديثها وقُتل شهيداً لكنه بذر بذرة التشيع فيها^(١)!

وكذلك اقرأ في سيرة المحقق الكركي الذي كان «لا يركب ولا يمضي إلى موضع إلا والسباب يمشي في ركابه مجاهراً بلعن الشيخين ومن على طريقتهما»^(٢).

وكذلك اقرأ للشيخ محمد بن يعقوب الكليني صاحب الكافي، فقد أخرج أحاديث المطاعن ومنها على سبيل المثال ما رواه عن أبي جعفر عليه السلام قال: «إن الشيخين فارقا الدنيا ولم يتويا ولم يتذكرا ما صنعا بأمر المؤمنين عليه السلام فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»^(٣).

(١) الغارات للثقفى، مقدمة التحقيق.

(٢) روضات الجنات للخونساري، ج٤، ص٣٦٠.

(٣) الكافي الشريف للشيخ الكليني، ج٨، ص٢٤٦.

وكذلك الشيخ المفيد الذي ألف كتاب «الكافئة في إبطال توبة الخاطئة» وكتاب (الجميل)، وقد شحنتها بالمطاعن في عائشة وطلحة والزبير، وحتى عمر! فقد روى على سبيل المثال عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: «اللهم اجزِ عمر لقد ظلم الحجر والمدن»^(١).

وكذلك ابن شهر آشوب ألف كتاب «مثالب النواصب» وشحنه بالطعن في كبار رموزهم! وكذلك المحقق الكركي ألف كتاب «نفحات اللاهوت في لعن الجبت والطاغوت» قال في مقدمته: «لما كانت هذه الأباطيل قد استولت على عقول أكثر الناس لطول مدتها وعظم انتشارها واتخاذ سلاطين الجور على تكرار الأعصار لها ديناً حتى أن جمعاً من ضعفاء الاعتقاد المنسويين إلى التشيع في بعض أطراف البلاد ربما لم يجوزوا اللعن على هؤلاء الأرجاس-أبو بكر وعمر- زاعمين أن لا دليل على ذلك من كتاب أو سنة ولا نقل من أهل البيت سب أحد منهم. رأيت أن أكتب رسالة موجزة أكشف فيها القناع عن ذلك وأبين فيها كفر هؤلاء وجواز لعنهم بدليل من كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله مما نقله ثقة المخالفون في كتبهم وأثبتوه في مصنفاتهم ليتحقق ذوو العمه والعمى إن هناك دلائل قاطعة على هذا المدعى لا على طريق الحصر والاستقصاء فإن ذلك غير قابل للإحصاء بل تحريت بجهدى الاختصار والاقتصار كما تقتضيه كدورات الأسفار والأخطار»^(٢).

وكذلك أبو الصلاح الحلبي ألف كتاب «تقريب المعارف»، وقد خصص فصلاً فيه للتركيز على أبي بكر وعمر وعثمان وعائشة وأمثالهم.

وكذلك العلامة المجلسي رحمه الله الذي شيع أكثر من سبعين ألفاً من أبناء العامة وهو لم يتنازل عن إظهار البراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام، فألف ثلاثة أجزاء من موسوعة

(١) الجميل للشيخ المفيد، ص ١٧١.

(٢) نفحات اللاهوت للمحقق الكركي، ص ١٧-١٨.

البحار سهاها أجزاء المطاعن، وهي مشحونة بشتى أنواع الطعن في رموز السقيفة قال بعد ذكر طائفة من الروايات الدائمة لأبي بكر وعمر: «الأخبار الدالة على كفر أبي بكر وعمر وأضرابهما وثواب لعنهم والبراءة منهم وما يتضمّن بدعهم أكثر من أن يذكر في مجلد أو في مجلدات شتى وفيما أوردناه كفاية لمن أراد الله هدايته إلى الصراط المستقيم»^(١).

وغيرهم الكثير من كبار العلماء، ورموز الطائفة الذين ألفوا كتب المطاعن وجهروا بالبراءة من أعداء أهل البيت عليهم السلام فليراجع شيخنا كتاب الذريعة إلى تصانيف الشيعة ليرى بنفسه عدد كتب المثالب التي ألفها علماء الشيعة عبر العصور.

فهل كل هؤلاء العلماء لا يفقهون الجدل بالتي هي أحسن إذ اخرجوا لنا ما يثير التشنج ويصد أبناء العامة عن تقبّل الحق كما تدّعي؟!

لماذا لم يمتنع أسلافنا عن تسطير مثالب رموز المخالفين في كتبهم، وتلك المطاعن عليهم رغم المخاطر؟ ألم يكن أسلافنا يعلمون أنّ تلك الأخبار سوف تكون سبباً في نقمة المخالفين؟

نعم يعلمون ذلك جيداً، ولكن حفظ الدين أولى من حفظ الدماء، ولقد قدّم الإمام الحسين عليه السلام دمه من أجل هذا الدين، فلذلك قام هؤلاء العلماء الأبرار ونشروا هذا الأحاديث الطاعنة في رموز المخالفين رغم المخاطر وقد استشهد الكثير منهم في هذا الطريق لكي تصل إلينا هذه الأحاديث ونعرف موقف المعصومين عليهم السلام من الطغاة الأوائل. سيرة علمائنا تلك حجة علينا أيضاً لأنها موافقة لسيرة أهل البيت عليهم السلام وأحاديثهم المتواترة، ولذلك لنا نحن أن نحتجّ بها على صحة منهجيتنا.

(١) بحار الأنوار للعلامة المجلسي، ح ٣٠ - ص ٢٣٠.

■ مواجهة في اللغة الدعوية:

قال الشيخ فوزي السيف: «تعالوا شوفوا في علمائنا شلون كانت لغتهم شلون كانت مناقشتهم هذا السيد شرف الدين أعلى الله مقامه السيد عبد الحسين هذا العالم المجاهد جاهد الفرنسيين وجاهد التخلف وجاهد التفرق والتمزق وكتب من الكتب في الدفاع عن أهل البيت أروع الكتب تعال شوف طريقته في المراجعات... كم من الناس كم من الآلاف كم من عشرات الآلاف كم من مئات الآلاف ممن اهتموا إلى طريق أهل البيت بواسطة المراجعات هذا يفتح القلب هذا محاسن كلامنا هذا بالتي هي أحسن وينتج النتائج المطلوبة!» أقول: إنَّ استخدام أسلوب سلمان -مداراة الجاهل والفاسق- لا يعني الاستغناء عن أسلوب أبي ذر -المصادمة- «قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ»^(١).

إنَّ استخدام السيد عبد الحسين شرف الدين أسلوب المداراة حسب تقديره أنه كان ينفع معه ذلك الأسلوب في ذلك الوقت لا يعني ذلك الاستغناء عن الأساليب الأخرى، ومن بينها أسلوب الصدمة الذي تحدثنا عنه وبيننا بأنه سلوك الأنبياء والأوصياء عليهم الصلاة والسلام، وقد سار على هذا المنهج علماءنا الأبرار رضوان الله عليهم كالشيخ الصدوق والشيخ المفيد وأبو الصلاح الحلبي وابن شهر آشوب والمحقق الكركي والعلامة المجلسي وغيرهم من علمائنا الأبرار، ولو تأملت سيرة هؤلاء العظماء لوجدت سلوك منهجية الطعن الصريح في رموز المخالفين، وفي مجالسهم!

راجع على سبيل المثال مناظرة الشيخ المفيد رحمه الله لأحد علماء المخالفين، وقد أثبت له فيها كفر عُمر بن الخطاب لعنه الله بالإجماع! لدرجة أن العالم البكري صُدم صدمة عنيفة وأفحم فلم يستطع بعدها الرد على الشيخ المفيد!

وراجع كذلك أبيات السيد الحميري رحمه الله التي أدرجها الشيخ المفيد في كتاب الإفصاح، وفيها أن السيد الحميري يهجو أبا بكر وعمر وعائشة لعنهم الله، وقد نال منهم أشد النيل وهاك نموذج من ذلك^(١):

أترى صهاكاً وابنها وابن ابنها	**	وأبا قحافة آكل الذبان
كانوا يرون وفي الأمور عجائب	**	يأتي بهنّ تصرف الأزمان
أن الخلافة من وراثته هاشم	**	فيهم تصير وهيبة السلطان

ويقول أيضاً^(٢):

أجاء نبيّ الحقّ من آل هاشم	**	لتملك تيم دونهم عقدة الأمر؟!
وتصرف عن قوم بهم تمّ أمرها	**	ويملكها بالصفير منهم أبو بكر
أفي حكم من هذا فنعرف حكمه	**	لقد صار عرف الدين نكراً إلى نكر

هكذا ينال السيد الحميري رضوان الله عليه من أبي بكر وعمر لعنهما الله رغم أنها أعظم شخصيتين مقدستين عند أهل الخلاف، فينال من عمر بذكر جدته الزانية صهاك الحبشية وينال من أبي بكر بذكر أبيه أبي قحافة آكل الذبان^(٣)!

وراجع أيضاً مناظرة الشيخ الصدوق رحمه الله مع الملك ركن الدولة، وبحضور علماء المخالفين أثبت فيها كفر أبي بكر، وأفحمهم فلم يستطيعوا الرد عليه^(٤)! والنماذج كثيرة في هذا الجانب من علمائنا الأبرار الذين نالوا من رموز المخالفين بكل صراحة.

(١) الإفصاح في إمامة أمير المؤمنين عليه السلام للشيخ المفيد، ص ٢٣٩.

(٢) المصدر السابق.

(٣) راجع كتاب تحرير الإنسان الشيعي للشيخ الحبيب، ص ١٥٨.

(٤) مناظرة الملك ركن الدولة للصدوق.

أما قول الشيخ فوزي: «تعالوا شوفوا في علمائنا شلون كانت لغتهم شلون كانت مناقشتهم هذا السيد شرف الدين أعلى الله مقامه السيد عبد الحسين... وكتب من الكتب في الدفاع عن أهل البيت أروع الكتب تعال شوف طريقته في المراجعات...».

أقول: إن أسلوب السيد عبد الحسين شرف الدين في كتابه المراجعات قد يكون مجدياً في ذلك الزمان، ومع شريحة وفئة محدودة من الناس وهي فئة المثقفين والباحثين.

وأما في هذا الزمان ومع عموم الناس بمختلف فئاتهم ومستوياتهم يحتاجون إلى أسلوب المصارحة المباشر الذي يعتمد على تركيز الضربات على الرمز المقدس، فإذا سقط هذا الرمز سقط معه الدين والمعتقد المتقوم به وهذا ما لحظناه من نتائج مبهرة لهذا المنهج فكل من تشيعوا ببركاته قد ذكروا أنّ سبب تشيعهم سقوط اعتبار تلك الرموز.

فالأسلوب والمنهج الذي يتبعه التيار الرافضي يصل إلى كافة فئات وشرائح المجتمع وقد اختصر هذا الأسلوب -وهو التركيز على ضرب الرمز- خطوات من البحث الطويل في الإمامة والعصمة وغيرها من مباحث يدخل شياطين الأئمة والجن ليدسوا فيها ألف شبهة تلبس على البسطاء والعوام.

وفي هذا المقام يقول المجدد الشيرازي الثاني قدس سره: «التركيز على أئمة الكفر... بناء على التأسّي به -أي النبي صلى الله عليه وآله- فالأصل في المعارك الدائرة على جبهات الكفر والإيمان أن يركز الضربات على أئمة الكفر ورؤوس الضلال، وهو أمر عقلي قبل أن يكون نقلياً، إذ أن دعائم الكفر لو تقوضت تقوض ما يقوم بها دون العكس عادة، وعليه أيضاً أن يضرب على الوتر الحساس ويأخذ بخناقهم و يصيبهم في مقاتلهم دون أن يشغل نفسه بالهامشيات وبما لا يبلغ منهم مقتلاً»^(١).

(١) من فقه الزهراء السيد محمد الشيرازي، ج ٣، ص ٢٨.

فالتركيز على تعريف المخالف بحقيقة أزداد أهل البيت عليهم السلام يكشف له حقيقتهم وتسقط قداستهم الزائفة فيسهل عليه بعد ذلك تلقي وقبول سائر عقائد الشيعة. قال أمير المؤمنين عليه السلام: «اعلموا أنكم لن تعرفوا الرشد حتى تعرفوا الذي تركه ولن تأخذوا بميثاق الكتاب حتى تعرفوا الذي نقضه، ولن تمسكوا به حتى تعرفوا الذي نبذه، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته حتى تعرفوا الذي حرّفه، ولن تعرفوا الضلالة حتى تعرفوا الهدى، ولن تعرفوا التقوى حتى تعرفوا الذي تعدى، فإذا عرفتم ذلك عرفتم البدع والتكلف ورأيتم الفرية على الله وعلى رسوله والتحريف لكتابه ورأيتم كيف هدى الله من هدى فلا يجهلنكم الذين لا يعلمون»^(١).

أما قول الشيخ: «كم من الناس كم من الآلاف كم من عشرات الآلاف كم من مئات الآلاف ممن اهدوا إلى طريق أهل البيت بواسطة المراجعات». أقول: لا أدري هل عند الشيخ فوزي إحصائيات بهذه الأعداد الضخمة أم أن الموضوع مجرد توقعات؟!

نحن لا ننكر أبداً بأن هناك الكثير من المثقفين اهدوا بواسطة كتاب المراجعات ولكن من أين أتى الشيخ فوزي بهذه الاحصائيات المبالغة جداً؟! من أين أتى بعشرات بل مئات الألوف؟!

إن قال بأن الباحثين كتبوا في مؤلفاتهم وصرحوا عند استبصارهم قلنا هل يستطيع الشيخ أن يأتي بمئة مثال على ذلك؟

ولكن في المقابل ورغم الجهود المتواضعة يستطيع أي باحث عمل إحصائيات ضخمة جداً بما حققه التيار الرافضي بالصوت والصورة على «يوتيوب»، وكذلك إحصاء الرسائل عبر الموقع

(١) الكافي الشريف، للشيخ الكليني، ج ٨، ص ٣٩٠.

الرسمي هذا عدا الاتصالات الهاتفية التي لا تتوقف عن المكتب من المستبصرين المبشرين
بركوبهم سفينة النجاة.

■ لكم أن تختاروا أسلوب الحمايم:

قال الشيخ فوزي السيف: «ربما أنت في مكان آخر تقدر تسوي شي لكن هذا الإنسان ضمن
هاظرف وفي هذا المكان يحتاج إلى أسلوب يفتح قلبه...»^(١).
أقول: لست مجبراً على اتخاذ هذا الأسلوب فلك أن تختار أسلوب الحمايم وتترك أسلوب
الصقور لمن يجد في نفسه الأهلية: «كُلُّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ»^(٢).
فالتزم أسلوب الحمايم (أهل العالم الثاني) إن شئت، ولا تتنازل عن مسلمات العقيدة بحجة
التقارب، فقط إلزم الصمت فليست مجبراً على أن تتحدث بما ينافي عقيدتك، ولك المجال في
التحدّث بما يسعك بيانه والجهر به من العقائد، ولكن لا تطعن في الظهر من يتخذ أسلوب
الصقور (أهل العالم الأول) فلا ترميهم بكل عظمة من الزور والبهتان كالتي وصفتموهم به
"الأموين الجدد"! ولا تسعوا إلى منع التمدد الرافضي البرائي لاختلافكم معهم في الرؤى،
نريد منكم الاحترام والمروءة، وما نرجوه هو أن تتكاتفوا معنا فنحن نحتاج في الوقت الراهن
في تعاطينا مع المخالفين إلى يدٍ تصفع ويدٍ تصافح، وكل منا يكتمل الآخر هذا خير من أن
نتطاحن ويسقط بعضنا الآخر من أجل اختلاف الرؤى في أساليب الدعوة.

طالب علم

٢٢/ المحرم/ ١٤٣٤ هـ

(١) المصدر السابق.

(٢) الإسراء: ٨٥.

المحتويات

3	المقدمة
7	تشبيه البرائين بالأميين
8	الشروع في المواجهة
10	هلا لنفسك كان ذا التأديبُ
11	الحاجز النفسي المزعوم
14	مواجهة في الأسلوب الدعوي
24	خلافُ الإنصاف
25	كيف تهدي المخالف وأنت تشتم مُقدّساته؟!
30	ترويض المخالف
32	مقالة تُخالف المسيرة الدعوية للأنبياء
39	هل هذا المنهج صنيعة أموية؟!
42	بين مشروعية السب وتحريمه
44	السب والشتم من مصاديق السوء من القول
46	السوء من القول عند المخالفين
47	ماذا عن قول أكره لكم أن تكونوا سبائين؟
48	المرجع التبريزي مفسراً

49	نقاط جوهرية
53	ماذا عن قوله تعالى: ولا تسبوا؟
57	وماذا عن الحديث: ماله لعنه الله يعرض بنا؟
59	نظرة مجتزأة
65	مواجهة في اللغة الدعوية
69	لكم أن تختاروا أسلوب الحمائم

Confront Without Injustice

With Sheikh Fawzi al-Saif

MUAJAHHA BILA HAYF MAA ALSHEIKH FAWZI AL SAYF



The Upper Hand Organisation, 2017 ©

All right reserved

عزيزي القارئ؛ إن هذا الكتاب الذي بين يديك هو عبارة عن محاولة بسيطة ومتواضعة وخطوة أولية للتعريف بالمنهج الذي يسير على خطاه التيار الرافضي الأصيل آمليين منك- عزيزي القارئ- قراءة هذا الكتاب بعقلك لا بعاطفتك بعد التجرد من العصبية والهوى وكسر حاجز التقديس الأعمى والتسليم التام للنصوص لا للشخوص.

طالب علم